

كتاب

﴿ الحصن والجنة • على عقيدة أهل السنة ﴾

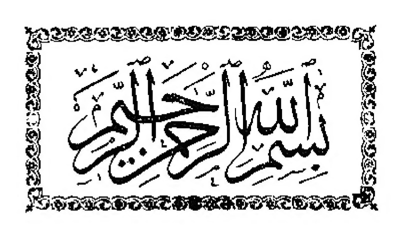
شرح العالم العلامة • والحبر البحر الفهامة • صاحب
التحقيق الشافي • الشيخ محمد بن يوسف
الشهير بالكافي • على عقيدة أهل السنة
لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي

(وقد ذيل ببعض تقريرات لبعض تلامذة المؤلف)

ويليه كتاب السيف اليماني • لمن قال بحل سماع الآلات
والاغاني • أو السم القاتل • للمفتي المتساهل • للشيخ
الامام • والعلامة الهمام • أبي يحيى مصطفى البراسي
المالكي الازهري الشهير بالبولاقي • حفه
الله بالرضا والرضوان يوم التلاقي

﴿ طبع بمطبعة النيل بمصر ﴾

(سنة ١٣٢٤)



الحمد لله الذي خص من شاء بالتوحيد • وطهر من أحب باتباع صفوة العبيد • المنزه عن الاضداد والانداد • والصاحبـة والوالد والوليد • الموجود القديم المخالف للحوادث الباقي بلا تحديد • القائم بنفسه الواحد القـادر الفعال لما يريد • الحي العالم السميع البصير بلا ترديد • المتكلم بكلام أزلي قائم بذاته منزه (١) عما يوصف بالغرابة والتعقيد • الذي لايجب عليه شيء لعباده خلافا لاهل الضلال والتفنيد • (٢) ولا يستحيل عليه شيء من الجائزات عند أهل الرأي السديد • والصلاة والسلام على سيد الموجودات • الذي لولاه ما خلقت أرض ولا سموات • الموصوف بالصدق والتبليغ والفطانة وأداء الامانات • الجائز عليه مايجوز على البشر مالم يؤد الى نقص في المقامات • سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات • وعلى آله وصحبه السادات

(١ قوله عما يوصف الخ) أي عن اللفظ الذي هو من جملة بعض ما يوصف الخ فشمل تنزهه عما يوصف بالغرابة الخ وعما لايوصف

(٢ قوله ولا يستحيل الخ) غرضه الرد على من قال باستحالة بعثة الرسل لاغناء العقل عن ذلك

الاثبات • العدول في جميع الافعال والمقالات • الذين رفعوا منار الاسلام وأحكموا له الأساسات • وعلى من تبعهم بحسن السير الى انقضاء المخلوقات (أما بعد) فيقول مزجي البضاعة • الذي ليس له على تحصيل المرام استطاعة • محمد بن يوسف التونسي الكافي الازهري الاشعري المالكي الخلوتي الراجي من الرسول حسن الشفاعة • قد أشرقت علينا هاته الايام عقيدة أهل السنة السمحاء • الفائقة على الروضة البهية الغناء • التي ألفها حجة الاسلام والمسلمين (١) أبو حامد محمد بن

(١ قوله أبو حامد الخ) هو صاحب التآليف الجمة الأنيقة • والابحاث الرائقة الدقيقة • في كل العلوم ولاسيما في علم الحقيقة • وفي تحرير مذهب الامام الشافعي ليس له معادل • حتى قال فيه بعض الافاضل

حرر المذهب شيخ * أحسن الله خلاصه
ببسيط ووسيط * ووجيز وخلاصه

ومن مشائخه امام الحرمين • ومن تلامذته أبو بكر بن العربي • وتنقل في اقطار خراسان • وتولى التدريس بالمدرسة النظامية من بغداد • واستوطن دمشق عشر سنين وبها صنف الاحياء مع عدة من الكتب • وعكف على العلوم الحكمية فاحاط بها في سنتين وله في الرد على أهلها تآليف نفيسة وانتقل من دمشق الى القدس ومنها الى مصر والاسكندرية عازما على التوجه للغرب يريد الاجتماع ببعض ملوكها لما سمع عنه من العدل فبلغه وفاته فكر راجعا لبغداد وتجرد للعبادة آخر أمره وترك التدريس وآخر تأليف له منهاج العابدين وهو كاسمه لمن وفقه رب العالمين صغير

محمد بن محمد الغزالي رحمه رب العالمين • من شهرته تغني عن ذكر سيرته فتأملتها فوجدتها كنزا عزيزا • وذهبا مصفى ابريزا • فعنّ لي أن أطالعها مع بعض الاخوان • أصلح الله تعالى لي ولهم الشأن • ثم بدا لي أن أكتب عليها ما يسره لي الرحمن • مقتصرا فيه على مايبين المعنى بحسب الامكان • حيث اني لم أطلع على كتابة عليها في غابر الازمان صافحا عن ذكر الادلة العقلية لكونها موضوعة للصبيان (١) وعلى المعلم ان يأتي بها اذا ظهر له الاتيـان • ولا أبالي في كلامي لاجل المبتدئ بالتكرار • ولا أسأل عن وضع الظاهر موضع الاضمار • بيد أني لست من أهل هذا المقام • ولا ممن يحوم حوله ولو بنزر الكلام • لكن حسن ظني في ربي شجعني على الاقدام • على أن الطفيـلي قد يكرم على موائد الكرام • وألقى معذرتي لذوي البصائر والعرفان • العالمين بان الانسان وان بلغ مابلغ هو محل للسهو والنسيان • المظهرين للحق على رؤس الاقران • المزيلين لبس الواقع من أهل الفجور والطغيان • لكي

الحجم كبير العلم جمع لبـاب مافي ربع المهلكات من الاحياء وترجمته كبيرة • ومرتبته شهيرة • ومآثره غنية عن البيان • وليس الخبر كالعيان ولد بطوس من خراسان سـنة أربعمائة وخمسين وبهـا توفى سنة خمسمائة وخمس عن خمس وخمسين سنة رحمه الله وترجمته تستدعى تأليفا خاصا

(١ قوله وعلى المعلم الخ) أتى بعلى ليفيد الوجوب عليه ان رأى فيهم أهلية للنظر

ينظروا في تعليقي هذا فما وجدوه صوابا أقروه . وما وجدوه بخلاف ذلك أصلحوه . ومن لم يتصف بما ذكرته فعليه العفا . خصوصا اذا كان ذا حسد عريض القفا . لأن واضح التبيان وصريح البرهان عليه يخفى . فهو راسب في بحار الجهالة ماطفا (وسميته) بالحصن والجنة . على عقيدة أهل السنة . والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم . وأن ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم . وان يجعله وسيلة الى الفوز بجنة النعيم . انه بالمؤمنين رؤف رحيم . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (فوائد) الفائدة الاولى في ترجمة عقيدة أهل السنة ذكر السبكي في الطبقات والزبيدي في شرح الاحياء ان ابن عساكر روى عن الامام عامر بن نجا الساوي انه رأى سنة خمسمائة وخمس وأربعين وهو بحرم مكة بين اليقظة والمنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أحسن هيئة في حلقة من الناس وأصحاب المذاهب يدخلون عليه واحدا واحدا يقرؤن ويصححون عليه مذاهبهم واعتقادهم وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد فدخل عليه الشافعي ثم أبو حنيفة ثم بقية أصحاب المذاهب فسلموا عليه فرد عليهم ورحب بهم وكل من يقرأ يقعد بجنب الآخر فلما فرغوا اذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كراريس غير مجلدة فيها ذكر عقائدهم الباطلة وهمّ أن يدخل الحلقة ويقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج واحد ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وزجره وأخذ الكراريس من يده ورمي بها الى خارج الحلقة وطرده وأهانه قال الساوي فلما

رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليـه شيئاً تقدمت قليلا وكان في يدي كتاب مجلد فناديت وقلت يارسول الله هـذا الكتاب معتقدي ومعتقد أهل السنة لو أذنت لي حتى أقرأه عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايش ذاك قلت يارسول الله هو قواعد العقائد الذى صنفه الغزالى فاذن لي في القراءة فقعدت وقرأتها الى قوله وانه تعالى بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والانس والجن فلما بلغت الى هـذا رأيت البشاشة والبشرى في وجهه صلى الله عليـه وسلم اذ انتهيت الى نعته وصفته فالتفت الي وقال أين الغزالي فاذا بالغزالي كانه واقف على الحلقة بين يديه فقال هاأنا ذا يارسول الله وتقدم وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليـه الجواب وناوله يده العزيزة والغزالي يقبل يده و يضع خديه عليها تبركا به و بيـده العزيزة المباركة ثم قعـد قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر استبشارا بقراءة أحد مثل ما كان بقراءتي عليه قواعد العقائد ثم انتبهت اه باختصار (الفائدة الثانية) في فضل العـلم قال الله تعـالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العـلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين أى من درجات العلماء خمسمائة عام وقال صلى الله عليـه وسلم يوزن مداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة فى طلب العـلم أحب الى الله من مائة غدوة في طلب غيره

من الخير ولا يخرج احـد في طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة أى عند موته ففيه دليل واضح على حسن الخاتمـة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (١) العلماء ورثة الانبياء ولا شرف فوق شرف هذه الوراثة لرتبة الانبياء ومعلوم لدى أهل العلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وانمـا ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخـذ بحظ وافر ومن ثم قال العلماء أهم الاشياء لاهل البيت طلب العلم وتحصيله بنية صالحة اذ هو الذى ورثه جدهم صلى الله عليه وسلم ولم يورث دينارا ولا درهما فحقهم ان ينافسوا فيه كل المنافسة ويعتنوا به غاية الاعتناء اذ أولى النـاس بالارث الاقارب وقبيـح بهم أن يحرموا انفسهم من ذلك الارث ويزهدوا فيه ويعرضوا عنه مع غاية جلاله ونهاية شرفه وأحقيتهم به ولا يمنعهم من ذلك احتيـاجهم الى التأدب مع المعلمين والتواضع لهم

(١ قوله العلماء ورثة الخ) روي عن الامام مالك انه قال بلغني أن العلماء يسئلون يوم القيامة عما يسئل عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اه وما ذاك الا للارث المذكور وقال الشيـخ سيدى محمد بن أبي جمرة لما كان العلماء والأولياء ورثة الرسل والأنبياء فلابد من حصول فترات تقع بين العالم والعالم والولي والولي فاذا اندرست طريقة الداعي أتى بعـد زمان من يجددها ولما كان يحصل في فترات الانبياء عبادة الاصنام من دون الله كذلك يقع في فترات الاولياء عبادة الاهواء والبدع وتبديل الافعال بالاقوال وغير ذلك مما يشهده أرباب القلوب المنيرة

والجلوس بين ايديهم (١) لان التواضع خلق شريف به تخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومدحه وأثنى عليه (٢) لاسيما مع أهل العلم فان التواضع لهم في الحقيقة تواضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هم خلفاؤه ونوابه (٣) وقال صلى الله عليه وسلم من طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره القائم ليله

(١ قوله لان التواضع الخ)ولاسيما لمن انتسب للعلم لان العلم حث على ملازمته ومن تخلى عنه قل الانتفاع بعلمه لانه صار ذاهيبة اذ لايمكن كل أحد الانتفاع بعلمه ولذا قال بعضهم

اذا زاد علم المرء زاد تواضعا * وان زاد جهل المرء زاد ترفعا
وفي الغصن من حمل الثمار مثاله * وان يعر من حمل الثمار تمنعا

(٢ قوله لاسيما مع أهل العلم) ولذا نسب للامام الشافعي رحمه الله تعالى

اصبر على مر الجفا من معلم * فان رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة * تجرع كاس الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه * فكبر عليه أربعا لوفاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى * اذا لم يكونا لا اعتبار بذاته

(٣ قوله وقال صلى الله عليه وسلم من طلب العلم الخ) وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمه صدقة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والقريب بين الغرباء

وقال أبو الحسن سلام الاشبيلي

أجل ما يبتغى يوما ويكتسب * ويجتنى من حلى الدنيا وينتخب
علم شريف عميم النفع قد رفعت * لحامليه بآفاق العلا رتب

وان باباً من العلم يتعلمه الرجل خير من أن يكون ابو قبيس ذهباً له فأنفقه فى سبيل الله هذا والعلوم تتفاوت درجاتها فالعلوم الشرعية مقدمة

ان عاش عاش حميدا ساميا أبدا * لا يستضام ولاينسى فيجتنب
وان يمت فثناء شائع حسن * وبعده رحمة ترجى وترتقب

وقال آخر

ان كنت مقصدك الكمال فلاتكن * أبدا بما تلتـذه متهمما
وانصب لاحصاء العلوم ورعيها * تنل السعادة والمفاز الاعظما
فابوك آدم قبـل آخر شهوة * فاذا بها قد جرعته العلقما

وينسب للامام على كرم الله وجهه

الناس من جهة التمثال أكفاء * أبوهمو آدم والام حـواء
نفس كنفس وارواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهمو من أصلهم حسب * يفـاخرون به فالطـين والماء
ما الفضل الا لاهل العـلم انهمو * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * وللرجال على الافعـال أسماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله * والجاهلون لاهل العـلم أعداء

وقال سابق البربرى

العـلم فيـه حيـاة للقلوب كما * تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه * كما يجلي سواد الظلمة القمر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلهـا * ولا البصير كاعمى ماله بصر

وقال الطغرائي

من قاس بالعـلم الـثراء فانه * في حكمه أعمى البصيرة كاذب

على غيرها وجوباً وهي المقصودة بالذات وغيرها آلات لفهمها في الجملة فلا ينبغي لعاقل أن يبذل جهده في الوسائل ويترك المقاصد ظناً منه ان الوسائل وحدها كافية في فهم المقاصد (١) بدون تلقيها عن أربابها وقد وقع هذا لكثيرين فضلوا وأضلوا فأفتوا بغير حكم رب العالمين

العلم تخدمه بنفسك دائما * والمال يخدم عنك فيه نائب

والمال يسلب أو يبيد لحادث * والعلم لا يخشى عليه سالب

والعلم نقش في فؤادك راسخ * والمال ظل عن فنائك ذاهب

هذا على الانفاق يغزر فيضه * أبدا وذلك حين تنفق ناضب

وقيل ان أعظم ما يتنعم به أهل الجنة العلم الذى يعطيه الله لهم هناك وبالجملة ففضل العلم شهير . ومن اراد حصر فضائله نادى على نفسه بالتقصير وقد ألف ابن عبد البر فيها كتابا

(١ قوله بدون تلقيها الخ) أو بان يتلقاها عن الكتب بلا واسطة اذ ليس كل العلوم يكفى فيها التلقي عن الكتب بل لو تلقى كل ما اراد تعلمه عن المشايخ لافرق بين خفى العلوم وجليها لكان لعلمه أوثق كما هو دأب من تقدم بخلاف ما عليه كثير من الناس اليوم لأن الميت لا يفيد الحي ولذا قال بعضهم

كل من يطلب العلوم وحيدا * دون شيخ فانه في ضلال

ليس في الكتب والقراطيس علم * انما العلم في صدور الرجال

وقال أبو حيان

أمدعيا علما ولست بقارئ * كتابا على شيخ به يسهل الحزن

أتزعم ان الذهن يوضح مشكلا * بلا موضح كلا لقد كذب الذهن

وان الذى تبغيه دون معلم * كموقد مصباح وليس له دهن

﴿ تنبيه ﴾ العلماء قسمان علماء الدنيا (١) وهؤلاء أخس حالا وأشد عذابا من الجهال ولهم علامات (٢) منها اشتداد حرصهم عليها ، ومنها محبتهم

(١ قوله وهؤلاء أخس الخ) بل قال العارف بالله سيدى على وفا رحمه الله تعالى علماء السوء أضر على الناس من إبليس لان إبليس اذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن انه عدو مضل مبين فاذا أطاع وسواسه عرف انه قد عصى فاخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل ويزيدون الاحكام على وفق الاغراض والاهواء بزيغهم وجدالهم فمن اطاعهم ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا فاستعذ بالله منهم واجتنبهم وكن من العلماء الصادقين

(٢ قوله منها اشتداد حرصهم الخ) قال سفيان الثورى رضى الله عنه لو أن عبدا عبد الله بجميع المأمورات الا أنه يحب الدنيا الا نودى عليه يوم القيامة على رؤس أهل الجمع الا أن هذا فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى فيكاد لحم وجهه يسقط من الخجل وقال معروف الكرخي ياطالب العلم انما انت متلذذ متفكه بالعلم تسمع وتحكي لا غير ولو عملت بما علمت لتجرعت مرارة العلم ويحك انما يراد بالعلم العمل فاسمع ياأخي وتعلم ثم اعمل واهرب ألا ترى الى سفيان الثورى رضى الله عنه كيف طلب العلم وتعلم وهرب فاسمع ما اقول لك فان طلب العلم انما يدل على الهرب من الدنيا لا على حبها ، وقال سفيان أيضا اذا رأيتم العالم يلوذ بباب السلطان فاعلموا أنه لص واذا رأيتموه بباب الامراء فاعلموا أنه مراء ، وروي أن سفيان بن عيينة جاس الى الفضيل بن عياض فقال له الفضيل كنتم معاشر العلماء سرجا للبلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة

للاغنياء دون الفقراء . ومنها ميلهم للحكام بالكلية . وعلماء الآخرة وهؤلاء هم الفائزون المقربون المقصودون بما ذكر من المدح الجليل والاجر الجزيل ولهم علامات أيضاً منها طلب العلم لله وأن لا يخالف فعلهم قولهم والانكباب على تحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة . ومنها عدم المسارعة الى الفتوى بل ينبغي للشخص أن يتحرى كل التحري فان سئل عما يعلمه تحقيقاً أجاب أو عما يشك أو يظن أو يتوهم فيه (١) قال لا ادري وبضدها تتميز الاشياء (الفائدة الثالثة) في آداب المعلمين آداب المعلم كثيرة . منها أن يكون تعليمه لله تعالى لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا زيادة جاه واحترام بل يريد

وكنتم نجوما يهتدى بكم فصرتم حيرة أما يستحي أحدكم من الله اذا أتى الى هؤلاء الامراء وأخذ من مالهم وهو لا يعلم من أين أخذوه ثم يسند بعد ذلك ظهره الى محرابه ويقول حدثني فلان عن فلان فطأطأ سفيان رأسه وقال نستغفر الله ونتوب اليه فانظر عفا الله عنا وعنك الى حال هؤلاء وهم أهل القرن الثاني وينسب للشاطبي رحمه الله

قل للامير نصيحة * من حاذق فطن نبيه
ان الفقيه اذا أتى * لبابكم لاخير فيه

(١ قوله قال لا أدرى) ولذا قال في ألفية السند

الصمت فاعلم لك حقا أزين * ان لم يكن عندك علم متقن
وقل اذا أعياك ذاك الامر * مالي بما تسأل عنه خبر
فذاك شطر العلم عند العلما * كذاك مازالت تقول الحكما

نشر العلم لتكثر العلماء ونقل الجهلاء وأن ينزل المتعلمين منه منزلة بنيه لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده بل ينبغي أن يكون الولد الالهي أحب اليه من الولد الصلبي وأن يبذل للمتعلم النصيحة ويزجره عن الاخلاق القبيحة تصريحاً أو تلويحا باعتبار حاله وأن يقتدي بصاحب الشرع المنيف فلا يطلب على افادة العلم اجرا وجزاء بل يفيد الطالب لوجه الله تعالى قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قل لا أسئلكم عليه أجراً وأن يحثهم على التعلم سيما الحفظ خصوصاً اذا كانوا صغاراً (١) لأن التعلم في الصغر كالنقش

(١ قوله لان التعلم في الصغر الخ) هذا معنى حديث روى مرفوعا مثل الذى يتعلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم فى الكبر كالذى يكتب على الماء وأنشد نفطويه

اراني أنسى ما تعلمت فى الكبر * ولست بناس ما تعلمت فى الصغر
وما العلم الا بالتعلم في الصبا * وما الحلم الا بالتحلم فى الكبر
فلو فلق القلب المعلم فى الصبا * لالفي فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب الا تعسف * اذا كل قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء الا اثنان عقل ومنطق * فمن فاته هذا وهذا فقد دمر

وقال ابن الحياب الغرناطي

لله عصر الشباب عصرا * فتح للخير كل باب
حفظت ماشئت فيه حفظا * كنت أراه بلا ذهاب
حتى اذا ما المشيب وافى * ند ولكن بلا اياب

في الحجر والتعلم في الكبر كالرقم على الماء لا يثبت ولا يفيد شتان ما بين الحالتين وأن يكظم غيظه عند التعليم ولا يبالي بعدم قبول

لا تعتنوا بعدها بحفظ * وقيدوا العلم بالكتاب

وتقدم فى أبيات الشافعي

ومن فاته التعليم وقت شبابه * فكبر عليه أربعا لوفاته

(تنبيه) ينبغي للمعلم أن يبث العلم لمن هو له أهل أعنى غير العيني أما هو فيعلمه لكل من تعين عليه ولا يعلمه أى غير العيني للسفلة وأولاد الظلمة فانهم يزدادون بذلك طغيانا • ويكونون به على الضعيف أشد ظلما وعدوانا • ويروى لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم • وللامام الشافعي رحمه الله تعالى

أأنثر درا بين سارحة النعم * وأنظم ياقوتا لراعية الغنم

فان يسر الله الكريم بفضله * وأدركت أهلا للعلوم وللحكم

بثثت مفيدا واستفدت ودادهم * والا فمخزون لدىّ ومكتتم

ومن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقال آخر

العلم من شرطه لمن خدمه * أن يجعل الناس كلهم خدمه

وواجب حفظه عليه كما * يحفظ ماعاش ماله ودمه

ومن حوى العلم ثم أودعه * غير محب له فقد ظلمه

وكان كالمبتنى البناء اذا * تم له ما اراده هدمه

وقال مكحول لا تبذل قط علمك لمن لا يسأله • وقال سيدي ابرهيم الدسوقى كم من علم يسمعه من لا يفهمه فيتلفه ولذلك أخذت العهود على

العلماء ان لايودعوا العلم الا عند من له عقل عاقل وفهم ثاقب • وأن يراعى حال المتعلمين فيما يعلمهم ويخاطب كل واحد على حسب فهمه اذ ليس الغبي كالذكي ولا الامي كالقارئ لأن المعلم طبيب من الجهل فيداوى كل أحد بما يليق به ويروى حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون ان يكذب الله ورسوله أو كما قال ولاسيما في هذا الزمان فقد شاع بين خصوص بعض المتعلمين في المدارس انكار أشياء كثيرة وردت بها الاحاديث الصحيحة لما لم توافق عقولهم القاصرة لاعتيادهم بالمألوفات • وتشبثهم بنحو الطبيعيات فيقولون هـذا الحديث موضوع وفي نحو البخارى هـذا لايستحق الا الحرق وهذا منهم بهتان عظيم وما هم الا كمن قال فيهم تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هـذا افك قديم فالسكوت عنهم أسلم للفريقين اذ المحاجة لاتفيد في المتعنتين وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم أما أحدهما فبثثته فى الناس وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا الحلقوم ومما ينسب لزين العابدين رضى الله عنه

اني لا كتم من علمي جواهره * كي لايرى ذاك ذوجهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن * الى الحسين ووصى قبله الحسنا
يارب جوهر علم لو ابوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ولهذا ابتلى كثير من الاشياخ بالانكار عليهم لما لم يراعوا هـذا الشرط أفضى بهم الحال للقتل والنفى وغير ذلك

في آداب المتعلم آداب المتعلم كثيرة (١) منها تزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل وجامع ذلك تقوى الله العظيم قال الله

(١ قوله منها تزكية الخ) ومنها أن يقصد بتعلمه العمل لا كثرة الرواية والدراية اذ العلم وسيلة للسعادة الاخروية وأى سعادة لمن كان له علم كالجبال وعمل كالذر وقال أبو المهاجر لما التقى موسى بالخضر عليهما السلام قال لموسى تعلم العلم لتعمل به لا لتعلمه لغيرك فيكون عليك بوره ولغيرك نوره • وقال سفيان الثورى انما يطلب العلم ليتقى به الله تعالى فمن ثم فضل على غيره ولولا ذلك كان كسائر الاشياء • وقال سليمان التيمي اذا تعلم العبد العلم ليعمل به كثر علمه واذا تعلمه لغير العمل زاده فجورا وتكبرا واحتقارا للعامة اه وغالب الناس فى هذا الزمان بل من نحو القرن الثامن اتخذ العلم صناعة وحرفة لجمع حطام الدنيا وياليتهم اقتصروا على الكفاف بل اذا مات الواحد منهم يسأل ماترك فيجاب بآلاف الآلاف فالمتقدمون رحمهم الله يوجد فى تركاتهم الآلاف من الورق وهؤلاء الآلاف من الورق وياليته اذ جمعه تحرى فيه ليكون من الحلال وأدى ما أوجبه عليه فيه الكبير المتعال بل يمنع ماعليه من الحقوق وربما كثره بالربا وبعد هذا كله يتركه ان كان له أولاد اطرد القياس فيهم أنهم لايكونون غالبا الامن أهل الفساد كما قيل

اذا أحدث الدهر شخصا نجيب * فكن فى ابنه سيئ الاعتقاد
فلست نجيبا ترى من نجيب * فهل تلد النار غير رماد

فبذلك يكون معينا له على معصية ومن الغرور التسويف بالعمل حتى يفجأه الاجل ولو تأخر عنه الوفاة أليس للاوقات آفات

تعالى واتقوا الله و يعلمكم الله وللامام الشافعي رضى الله عنه ونفعنا به

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

والاخلاص في مقاسات هذا المطلب الصعب • وقطع الطمع عن قبول زيد ووهب • وتقليل العلائق الدنيوية (١) حتي الاهل والاولاد وترك الكسل والكد لنيل الفضائل وتوطيد النفس على التعلم الى آخر العمر لما قيل (٢) الطلب من المهد الى اللحد واختيار المعلم الناصح التقي

(١ قوله حتى الاهل) ولذا قال ابن سعيد الاندلسى

أنا شاعر أهوى التخلي دونما * زوج لكيما تخلص الافكار
لوكنت ذازوج لكنت منغصا * فى كل حين رزقها أمتار
دعني أرح طول التغرب خاطرى * حتى اعود ويستقر قرار
كم قائل قد ضاع شرخ شبابه * ما ضيمته بطالة وعقار
اذ لم ازل فى العلم أجهد دائما * حتى تأتت هذه الافكار
مهما ارح من دون زوج لم أكن * كلا ورزقى دائما مدرارا
واذا خرجت لفرجة هنيتها * لاضيعة ضاعت ولا تذكار

(٢ قوله الطلب من المهد الخ)وقال عون بن عتبة رضى الله عنه من تمام التقوى أن لايشبع العبد من زيادة العلم وانما ترك قوم طلب الزيادة من العلم لقلة انتفاعهم بما علموا وقال سيدى ابراهيم الدسوقي يا أولادي اطلبوا العلم ولا تقفوا ولا تسأموا فان الله تعالى قال لسيد المرسلين وقل رب زدني علما فكيف بنا ونحن مساكين في أضعف حل وآخر زمان وسبب طلب الزيادة من العلم انما هى للادب يعني اطلب الزيادة من العلم

العدل في دينه الكبير في السن الذي لا يخالط السلطان ولا يداخل الدنيا بل قالوا ينبغي أن يسافر في طلب الاستاذ الى أقصى البلاد واحترام معلمه وامتثال أمره فيما يباح ومن احترامه (١) مشاورته في كل أمر وامتثال اشارته لتحصيل بركته لما ورد الشيخ في جماعته كالنبي في أمته

لتزداد مني أدبا على أدبك وما قدروا الله حق قدره اه

(١ قوله مشاورته) وأصل طلب الاستشارة من كل أحد أمر به الشارع وحث عليه فقد روي ماخاب من استشار وقال بعضهم

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا مادنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

وقال آخر

تأن وشاور لدى المشكلات * فمنها جلي ومستغمض
فرأيان أثبت من واحد * ورأي الثلاثة لا ينقض

وقال بشار المشاور بين احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه وقال ابن المعتز

وان نابتك نائبة فشاور * فكم حمد المشاور غب أمر
وقسم هم نفسك في نفوس * ولا تتفردن بطول فكر
اذا كظ الفرات بماء مد * أغص به حلاقم كل نهر

لكن يتحرى من وجد فيه قول القائل

خصائص من تشاوره ثلاث * فخذ منها جميعا بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك في الحقيقه
فمن حصلت له هذي المعاني * فتابع رأيه والزم طريقه

وأن لا يتعرض لمـا يؤذيه وقد قيل من تأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم (١) ولا ينتفع به وأن يكتب ما يستطيع من الفوائد لما قيل

(٢) العلم صيد والـكتابة قيده * قيد صيودك بالحبـال الواثقه

ولما روي عن هـلال بن يسار قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر لاصحابه شيئاً من العلم والحـكمة فقلت يا رسول الله أعد علىّ ما قلت لهم فقال لى هل معك محبرة فقلت ما معى محبرة فقال ياهلال لا تفارق المحبرة (٣) فان الخير فيها وفي أهلها الى يوم القيامة وأن يراجع فيما لم يفهمه بالادب ويحرص على مافهمه لئلا يضيع سعيه فيفوته التوفيق لان التوفيق المختص بالمتعلم ستة أشياء (٤) مجموعة في قول بعضهم

(١ قوله ولاينتفع به) قال أبو عبدالله محمد بن منازل من احتجت الى شئ من علومه فلا تنظر الى شئ من عيوبه فان نظرك الى عيوبه يحرمك بركة الانتفاع به (٢ قوله العلم الخ) وبعده

فمن الحماقة أن تصيد غزالة * وتتركها بين الخلائق طالقه

(٣ قوله فان الخير الخ) وروى أن رجلا من الانصار قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى لاسمع الحديث ولا أحفظه فقال له استعن بيمينك أي اكتبه وقال قيدوا العلم بالكتابة ولمحمد بن هرون الدمشقي

لمحـبرة تجالسني نهـاري * أحب الي من أنس الصديق
ورزمة كاغد في البيت عندي * أحب الى من عدل الدقيق
ولطمة عالم في الخـــدمني * ألذ الي من شرب الرحيق

(٤ قوله مجموعة الخ) وزاد بعض الفضلاء عليها بقوله

وللعلم آفات فدونك سردها * فاول تعداد نعد التكبرا

أخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة * وارشاد أستاذ وطول زمان

(الفائدة الخامسة) فيما يتعلق بالتلامذة فيما بينهم ينبغي أن يكون

كذلك الاستحيا وتزويجك النسا * وقلة آداب وتكثيرك الكرى
مقارنة الاحباب فقد مشايخ * وحبك للدنيا وهمك للثرى
وحبك للتكبير في الدرس ثم ان * تركت سؤال الشيخ ثم التكررا
وحبك للتقديم في الدرس أولا * وترك سؤال الطالبين تحررا
كذلك اذا ما كنت فيه مقدما * بأن قلت ذا يكفي بأن كنت فاترا
فان هذه قد نلت منها خصيلة * فلا تتعبن واذهب لترعى الاباعرا

واعلم أن هذه الآداب المطلوبة من المتعلم المراد لنا انما هو من فيه قابلية وذكاء والا فاشتغاله بماعدا المبني عليه ضياع لوقته النفيس • وتسويف من النفس وابليس • ولذا قال في الفية السند

ومن تكن في فهمه بلاده * فليصرف الوقت الى العباده
أو غيرها من كل ذي ثواب * ولو بحسن القصد في الأسباب
فليعمر العمر فكل ذره * منه رخيصة بألف دره

فهذا اللائق بهذا المسكين • والله لا يضيع أجر المحسنين

ثم قال في حق من استوفى شروط العلم

فحق أهل العلم صدق النيه * والاجتهاد في صفا الطويه
والجد في التقوى بخير السيره * ليستقر العلم في البصيره
فعلم ذي الانوار في جنانه * وعلم ذي الاوزار في لسانه
وأن عنوان علوم الدين * في الصدق والخشية واليقين

التواد والتحاب بين تلامذة الدرس لانهم اخوة مشتركون في الدرس فلا يبغي بعضهم على بعض بالقول بأن يؤذيه بلسانه ولا بالفعل بأن يجلس في محله الذي اعتاد الجلوس فيه مثلا (١) ولا يتعاطوا أسباب التباغض فيما بينهم والسبب الوحيد في ذلك هو جعلهم العلم وسيلة الى المطالب الدنيوية من الجاه

(١ قوله ولا يتعاطوا الخ) قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه لايكون الرجل من أهل العلم حتى لايحسد من فوقه ولا يحقر من تحته ولا يبتغي بالعلم ثمنا وقال سيدى عبد العزيز الدباغ ترى الطالب يسافر من قطر الى قطر ليحصل العلم بنية أن يدرك الجاه والكلمة النافذة أو الدنيا أوغير ذلك من الاغراض الباطلة • ويبقى على هذه النية السنين المتطاولة فيحرمه الله تعالى من نور العلم فلايكون من الراسخين فيه أبدالابد لايدرك حقيقة العلم الا من توجه اليه بباطنه • وباطن هذامعمور باغراضه وشواغله • والذى يحرك في العلم منه هو ظاهره فقط والعلم سر من الاسرار فلا يدركه الظاهر أبدا (تنبيه) ماتقدم من طلب العلم من المهد الى اللحد ليس على اطلاقه لما قاله بعض العارفين ان العلم علمان علم يحتاج اليه مثل ما يحتاج من القوت فينبغي الاقتصاد فيه والاقتصار على قدر الحاجة منه وهو علم الاحكام الشرعية فلاينبغي ان ينظر فيه الا بقدر ماتمس الحاجة اليه في الوقت فان تعلق تلك العلوم انما هو بالاحوال الواقعة في الدنيا لاغير ويمكن الانسان الاحاطة بعلم جميع ماكلفه الله به من الاحكام في نحو شهر فان غالب اشتغال الفقهاء طول عمرهم انما هو في فهم ماولدوه من كلام بعضهم بعضا وهذا لم يكلف الله تعالى أحدا بعلمه ولا العمل به لعدم عصمة قائله الا ان اجمع عليه وعلم لايستغني

والرياسة والمال فتنشأ فيهم نزغة ابليس لعنه الله تعالى التي أخرج بسببها من الجنة وهي التي أخبر الله بها عنه حيث أمر بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام فقال أنا خير منه فيجهل كل أبناء جنسه ولا يعترف الا بفضل نفسه أعاذنا الله من ذلك وأرشدنا واخواننا المسلمين الى أقوم المسالك (الفائدة السادسة) في مبادي هذا الفن على سبيل الاجمال

عنه طرفة عين وليس له حد يقف العبد اليه وهو العلم المتعلق بالله تعالى ومواطن الآخرة فان العلم بها يؤدي الى استمداد كل موطن وما يلقيه من الجواب حين يسأل فيه اه ونظيرهذا ما فى رسالة محي الدين للفخر الرازي ومنها اعلم يا أخي وفقنا الله واياك ان الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله بلا واسطة من نقل أو شيخ والا فما برح عن الاخذ عن المحدثات وذلك معلول عند أهل الله عز وجل وقطع عمره في تفاصيلها بدون انتهاء الى حقيقتها كما قال أبو يزيد لعلماء عصره أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وينبغي لك يا أخي أن لا تطلب من العلوم الا ما تكمل به ذاتك وينتقل معك حيث انتقلت وما ذاك الا العلم بالله من حيث الوهب والمشاهدة فان علمك بالطب مثلا انما يحتاج اليه في عالم الامراض والأسقام فاذا صرت في عالم لا سقم فيـه من تداوى به فعليك بما ينتقل معك وهو العلم بالله تعالى والعلم بمواطن الآخرة حتى لا ينكر التجليات الواقعة فيها ولا يقول للحق اذا تجلى له أعوذ بالله منك كما ورد اه المراد منها وكذا يقتصر على علوم الآلة ما يكون له فى علمه بمنزلة الملح للطعام

(فحد) التوحيد لغة العلم بان الشيء واحد وعرفا بمعنى الفن المدون علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية المكتسب من أدلتها اليقينية وبمعنى غير الفن المدون افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا • وموضوعه ذات الله وذات رسله من حيث مايجب وما يستحيل وما يجوز والممكن من حيث انه يستدل به على وجود صانعه والسمعيات من حيث اعتقادها • وثمرته معرفة صفات الله ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الابدية • وفضله انه أشرف العلوم لكونه متعلقا بذات الله تعالى وذات رسله وما يتبع ذلك والمتعلق يشرف بشرف المتعلق • ونسبته أنه أصل العلوم وما سواه فرع عنه وواضعه أبو الحسن الاشعري ومن تبعه وأبو منصور الماتريدي ومن تبعه بمعنى انهم اجتهدوا في تدوينه ورد الشبه الفاسدة • واسمه علم التوحيد وعلم الكلام • واستمداده من الادلة العقلية والنقلية وحكم الشارع فيه الوجوب العيني على كل مكلف ذكراً كان أو أنثى • ومسائله قضاياه الباحثة عن الواجبات والجائزات والمستحيلات وقد حان أوان الشروع في المقصود • مستعيناً بالله الملك المعبود • قال رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) أى أؤلف افتتح كتابه رضي الله تعالى عنه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز من حيث الترتيب التوقيفي وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أو أقطع أو أجذم روايات أى كالابتر في النقص أو كالاقطع في النقص أو كالاجذم في النقص فهو تشبيه بليغ

وهو ما حذفت فيه الاداة مع وجه الشبه الا أن وجه الشبه مختلف ففى المشبه به حسي وفي المشبه معنوى أى ناقص وقليل البركة فهو وان تم حسا لا يتم معنى من جهة عدم الانتفاع به • والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد • والرحمن المنعم بالنعم الجليلة والرحيم المنعم بالنعم الدقيقة (الحمد لله) أتى بالحمدلة أيضا اقتداء بالكتاب كما تقدم وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر الى آخر ماتقدم ولا تعارض بين الحديثين لاختلاف البدءين حقيقيا واضافيا أو لكون ماتقدم أمام المقصود محلا للبدء واذا لاحظنا الاقتداء بالكتاب لا يرد السؤال عن سبب تقديم البسملة على الحمدلة فلا نحتاج الى الجواب بكون حديث البسملة صحيحا وحديث الحمدلة حسنا والعمل بالصحيح مقدم على العمل بالحسن أي الحمد بجميع أنواعه مستحق لله استحقاقا ذاتيا واقعا فلا يستحق غيره الحمد بهذا المعنى أعني الاستحقاق الذاتي والحمد لغة الثناء باللسان على الفعل الجميل الاختياري على جهة التعظيم سواء كان في مقابلة نعمة أم لا واصطلاحا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره فبينهما العموم والخصوص الوجهي (المبدئ) أى الذى ابتدأ الخلق بعد عدمهم الازلي باختياره (١) خلافا لمن نفى الاختيار فكفر والعياذ بالله تعالى وبلا دخل لاحد في ذلك وبلا معاناة وبلا نصب ولا لغوب وبلا مصلحة تعود عليه تعالى (المعيد) أي الذي

(١ قوله خلافا لمن نفى الاختيار الخ) أى وقال بالطبع أو بالعلة

يعيد الخلق بعد فنائهم لا لغرض يعود عليه وانما يعيدهم ليوفيهم اعمالهم فيجزى المحسن بفضله و يجازى المسيء بعدله قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال تعالى كما بدأكم تعودون (الفعال لما يريد) أي الذي يفعل ما اراده من خير أو شر فلا يتخلف مراده عن ارادته من افعاله وافعال عبيده خلافا لبعض الفرق الضالة حيث فصلوا فى افعال العبيد بقولهم العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه و يرد عليهم بقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون و بقوله تعالى فعال لما يريد (ذى العرش المجيد) (١) أى ذى الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على السرير أو المراد بالعرش السرير و يكون سبحانه خلق سريرا في غاية الجلال والعظمة لا يعلم قدره الا هو وسيأتي ذكر بعض ماقيل فيه والمجيد العظيم يصح أن يكون وصفا للعرش أو لله تعالى قال الله تعالى ذو العرش المجيد (والبطش الشديد) البطش الاخذ بشدة في كل شيء فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ومثل ذلك قوله

(١ قوله أى ذى الملك الخ) العرش فى لسان الشرع اسم لجسم عظيم علوى قيل مادته النور أو الزبرجد أو الياقوت والأولى عدم التعيين لعدم مايدل عليه والمحققون على انه كروى وهو قبة فوق العالم يحمله فى الدنيا أربعة من الملائكة ويزاد مثلهم فى الآخرة لزيادة الجلال والعظمة رؤسهم عند العرش وأرجلهم فى الارض السفلى الى غير ذلك مما ورد فى وصفهم ووصف العرش

تعالى ان أخذه أليم شديد قال تعالى ان بطش ربك لشديد (الهادي صفوة العبيد) أي الدال من الهداية بمعنى الدلالة وصلت أم لا على التحقيق ولكن يتعين هنا الدلالة الموصلة بدليل المعمول أي الذي هدى صفوة العبيد وصفوة العبيد هم الذين تخلوا عن رجز الكفر وظلمة الشبهات وخبث تحكيم العقل ونجاسة الجهل وسيئ الاعتقاد والله أعلم والعبيد واحده عبد وله معان يناسب منها هنا عبد الايجاد (الى المنهج الرشيد) المنهج كالنهج الطريق الواضح والرشيد الهادي الذي لا اعوجاج فيه ولا تخالطه (١) بنيات الطريق أي الهادي صفوة العبيد الى الدين الحنيفي السهل لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة أي التي من سلكها لا يضل (والمسلك السديد) المسلك محل السلوك والمرور والسديد القويم فهو بمعنى ماقبله (المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد) أى الذي أنعم على صفوة العبيد فضلا منه بعد الشهادة الدالة على التوحيد ظاهرا بحفظ معتقداتهم عن طرو التشكيك والترديد فيها الشبيهين بالظلمات في عدم الاهتداء الى المطلوب في كل والترديد التحير (السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد) أي الذي سلك بهم الى اتباع رسوله أي الذي وفقهم لقبول ما جاء به صلى الله عليه وسلم وللعمل بما تضمنه فهم آمنوا به وبما جاء به وعملوا بمقتضاه والا ما كانوا صفوة العبيد ورسوله هو سيدنا

(١ قوله بنيات الطريق) أى الأباطيل

محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى المختار واقتفاء آثار صحبه أي تتبع آثارهم أقوالا كانت أو أفعالا والعمل بإسنوه لقوله عليه الصلاة والسلام فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وكلهم رضي الله عنهم راشدون وصحبه جمع صاحب بمعنى صحابي وهو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا مؤمنا به ولو حكما كالاطفال الذين حنكهم ولو لم يره كابن أم مكتوم الاكرمين في أنفسهم لعلو همتهم عما يدنسها المكرمين من الله تعالى ببركة رسوله صلى الله عليه وسلم بالتأييد والتسديد أيدته قويته وسدده قومه ووفقه للسداد أي الصواب من القول والعمل أي المكرمين بالتقوية والتوفيق للصواب من القول والفعل (المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لايدركها الامن ألقى السمع وهو شهيد) التجلي الظهور أي الظاهر لهم بذاته وأفعاله بسبب أوصافه المحاسن أي بسبب آثار أوصافه المحاسن التي أولها الوجود وأشرفها الايمان به تعالى و برسوله صلى الله عليه وسلم التي لايدركها الامن يمعن النظر في متعلقها وهو الموجودات وألقى السمع أي استمع ما يلقى اليه من الآيات والبراهين وهوشهيد أي حاضر بقلبه فاذا أمعن النظر في مصنوعاته سبحانه وتعالى واستمع مايلقى اليه من الآيات والبراهين ولم يبتدع مع كونه حاضر القلب تجلى له الله تعالى بالجلال أو الجمال على حسب استعداده أي شهد جلاله وجماله في ذلك لان الخلق مظهر له تعالى أي علامات وأمارات على حسن اتقان خالقها وعلى كماله وكمال أوصافه الفائقة والله أعلم (المعرف

اياهم أنه في ذاته واحد لاشريك له) عرفه يعرفه معرفة علمه فالمعرفة والعلم شئ واحد على التحقيق لما سمعت ويجوز اطلاقها عليــه تعالى بدليل قوله صلى الله عليــه وسلم تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة أي المعرف اياهم ثبوت وحدة ذاته وثبوت عدم شريك له في الذات والصفات والافعال ومثل وحدة الذات وحدة الصفات فأفاد رحمه الله تعالى نفي الكموم الخمسة والسادس ان فسر بالمشارك في الافعال معرفة لاشك فيها بقوله تعالى والهكم اله واحد و بقوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد و بقوله في الانعام لاشريك له و بذلك أمرت (فرد لامثل له) الفرد الواحد والمثل المماثل والنظير أى الواحد الذي لامثيل له ولا نظير له في ذاته وصفاته وأفعاله والواحد و الاحد بمعنى عند أكثر العلماء (صمد لاضد له) الصمد (١) السيد لانه يقصد في الحوائج أو الدائم أو الذي لاجوف له فلا يأكل ولا يشرب وهو تعالى متصف بكل والضد المثل أى السيد أو الدائم الذى لامثل له (منفرد لاند له) المنفرد بمعنى الواحد والند المثل أى واحد لامثل له فمعنى الثلاثة واحد ففي كل نفي المثلية عنه قال تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير واذا انتفى المثل عن مثله فرضا فنفيه عنه أولى ولا احتياج الى ما ادعاه بعضهم هنا لان الآية من قبيل الكناية على حد قولهم مثلك لايبخل فافهم (وانه واحد قديم لا أول له) أي والمعرف

(١ قوله السيد الخ)أو الذي لم يلد ولم يولد فتفسيره ما بعده كما قيل فى هلوعا من قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا ان تفسيره اذا مسه الخ

اياهم ثبوت وحدته وثبوت قدمه وثبوت عدم أولية له التي هي معنى القدم بقوله تعالى قل هو الله أحد و بقوله هو الاول أى الذي ليس لوجوده افتتاح والصحيح جواز اطلاق القديم عليه لوروده في بعض الروايات بدل الاول وللاجماع على استعماله والاول والقـديم بمعنى والعقائد ثبوت مدلول هـذه الالفاظ له تعالى في الخارج كما سيبين ان شاء الله تعالى (أزلي لا بداية له) نسبة الى لم يزل بعد حذف لم وقلب الياء ألفا والازل هو القدم ولا بداية له لا افتتاح لوجوده أى القديم الذى ليس لوجوده افتتاح فهو بمعنى الاول (مستمر الوجود لا آخر له) أي ذو الوجود المستمر استمرارا لا آخر له أى الذى ليس لوجوده اختتام والوجود صفة نفسية توصف بها الذات لانها حال عنـد مثبت الحال وتعريفها هي الحال الواجبة للذات مادامت الذات غير معللة بعلة وقيل الوجود عين الموجود وظاهره لا يصح والوجود من حيث هو من الصفات الذاتيـة لكل موجود وما بالذات لا يتخلف كالتحيز للجرم (أبدي لا نهاية له) نسبة الى الابد والابدى هو الدائم أو القديم ونهاية الشئ غايته أي دائم أو قديم لا غاية ينتهى اليها وجوده تعالى (قيوم لا انقطاع له) القيوم المبالغ في القيام بتدبير خلقه فهو صيغة مبالغة وان لم يكن من أمثلتها والمبالغة النحوية يتصف بها ومعنى لا انقطاع له لا نفاد له أى القائم المبالغ في القيام بتدبير خلقه الذى لا نفاد لوجوده (دائم لا انصرام له) الدائم الباقي والانصرام الانقطاع أى الباقي الذى لا انقطاع لوجوده (لم يزل) موصوفا بنعوت الجلال في قدمه أى (ولا يزال

موصوفا بنعوت الجلال) فما لا يزال أي هو قديم الاتصاف بنعوت الجلال ومستمر الاتصاف بنعوت الجلال فلم يزل يدل على القدم ولا يزال يدل على الاستمرار والنعوت جمع نعت ويرادفه الوصف والصفة على المختار فيصح اطلاق النعت عليه تعالى خلافا لمن منع ذلك والجلال العظمة (لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال) القضاء الحكم والانقضاء والانفصال الانتهاء اى لا يحكم عليه تعالى بالانتهاء (ب)سبب (تصرم الآباد وانقراض الآجال) صرم الشيء قطعه وقرضه كذلك والآباد جمع أبد وهو الدهر والحاصل أنه لا يحكم عليه تعالى بالانتهاء بسبب قطع الدهور وقطع الآجال بل هو سبحانه وتعالى مستمر الوجود والآجال جمع أجل وهو ما اكتنف بغايتي ابتداء وانتهاء (بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن) بل للاضراب الانتقالي نظراً للمثبت له تعالى اي هو الاول اى السابق على جميع الموجودات من حيث انه موجدها والآخر أي الباقي بعد فنائها والظاهر بالادلة لمن وفقه والباطن عن ادراك الحواس وعن ادراك حقيقة ذاته فلا تحيط بكنهه العقول لا في الدنيا ولا في الآخرة لا يعلم كنه الله الا الله تعالى (وهو بكل شيء عليم) أى هو سبحانه وتعالى عالم بكل شيء حتى ما تحدث به النفوس سواء كان هذا الشيء واجبا أو مستحيلا أو جائزا ولا يخفى أن قوله (التنزيه) وما شاكله كالحياة ترجمة تعطي حكم التراجم في الاعراب وأنه اعترض بها بين المعاطيف وان قوله انه واحد في ذاته لا شريك له الى هنا مما يدل على التنزيه (وأنه ليس بجسم) لانه

متركب ومتحيز وذلك أمارات الحدوث والجسم هو ما تركب من جوهر ين فأكثر أو نقول هو ماله طول وعرض وعمق (مصور) اى اى ذى صورة وشكل كانت الصورة حسنة كالانسان أو قبيحة كالدب لان ذلك من خواص الاجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات واحاطة الحدود والنهايات (ولا جوهر) (١) لانه عندنا اسم للجزء الذى لا يقبل القسمة ولو وهما وهو متحيز ويتركب منه الجسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (محدود) اى ذى حدود ونهايات (مقدر) بحدود ونهايات فهو عين ما قبله في المعنى (وانه لا يماثل الاجسام) اى والمعروف اياهم ثبوت عدم مماثلته للاجسام بقوله تعالى ليس كمثله شىء وذلك لان من لوازم الاجسام الحدوث والتركب والتحيز ومن لوازم الذات الاقدس القدم وعدم التركب والتحيز ومن المعلوم أن تنافي اللوازم يدل على تنافى الملزومات فالله سبحانه وتعالى لا يماثل الاجسام فيما تقدم و (لا في التقدير) احاطة المقادير والنهايات (ولا في قبول الانقسام) لا طولا ولا عرضاً ولا عمقا لا يقبل ذلك تحقيقا بل ولا وهما (وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر) تقدم تعريفه أي والمعرف اياهم ثبوت عدم جوهرية له وثبوت عدم حلول الجواهر فيه أى ليس بجوهر فرد فيحل في جسم أو في مكان ولا هو جسم فتحله الجواهر الفردة والجسم محل للجواهر التي تركب منها (ولا بعرض ولا تحله الاعراض) أى والمعرف اياهم ثبوت عدم عرضيته وثبوت عدم حلول

(١ قوله لانه الخ) اى الجوهر الفرد كما سيصرح به بعد

العرض فيه لان العرض ما قام بالغير وما كان تحيزه تابعا لتحيز الجرم والله منزه عن ذلك لقيام الادلة العقلية والنقليــة على نفي ذلك عنه تعالى ولان ما يحله العرض هو الجسم والله تعالى ليس بجسم لقيــام الادلة على ذلك فهو تعالى ذات متصف بصفات قديمة (بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود) بل للاضراب الانتقالي كما تقــدم ومن المعــلوم بالضرورة ان الموجودات سواه تعالى أجرام وأعراض قائمة بها وقد أثبت أنه مخالف لها بقوله وأنه ليس بجسم مصور الى قوله ولا تحله الاعراض وحيث ثبتت المخالفة انتفت المماثلة اذ لا واسطة فقوله بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود لازم لمــا قبله وقوله (ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء) هو عين ما قبله غــير أنه في الاول قدم نفي مماثلته لموجود وأخر مماثلة موجود له وهنا عكس ومن المعلوم أن لفظ موجود وشيء عندنا مدلولهما واحد وهو ما تصح رؤيته فلا واسطة بينه و بين المعدوم خلافا لمن أثبت الواسطة وهي الاحوال (وأنه لايحده المقدار) أي والمعرف اياهم ثبوت عدم تحديد المقادير له تعالى وهي الطول والعرض والعمق لعدم الجسمية فلا يوصف بالطول ولا بالعرض ولا بالعمق (ولا تحويه) أي تشتمل عليه (الاقطار) الاقطار جمع قطر وهو الجهة فقوله (ولا تحيط به الجهات) هو عين ولا تحويه الاقطار (ولا تكتنفه) تحيط به (الارضون ولا السموات) أي والمعرف اياهم ثبوت عدم احتواء الاقطار له وثبوت عدم احاطة الجهات به وثبوت عدم اكتناف الارضين والسموات اياه لكونه

ليس بجسم ولا ما يحل الجسم وهو العرض ودليل هذا وما قبله وما يأتي بعد قوله تعالى ليس كمثله شئ فهذه الآية هي الحجة القاطعة في ذلك (وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله) وهو قوله تعالى الرحمن على العرش استوى (وبالمعنى الذى اراده) الله أعلم به أي نؤمن باستوائه على العرش ونَكِلُ كيفيته الى الله تعالى ولكن يجب صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالة الظاهر عليه وهو الاستقرار على العرش لكونه من خواص الاجسام وقد ثبت أن امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (١) سئل عن ذلك فاجاب السائلَ بعد اطراق رأسه مليا بما معناه الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسائل

(١ قوله سئل الخ) روي انه سئل عن معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فعرق وأطرق وصار ينكت بعود في يده ثم رفع رأسه وقال الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج اه ولذا قال عدى بن مسافر توحيد البارى عزوجل لاتجرى ماهيته فى مقال ولا تخطر كيفيته ببال جل عن الامثال والاشكال صفاته قديمة كذاته ليس بجسم فى صفاته جل ان يشبه بمبتدعاته أو يضاف الى مخترعاته ليس كمثله شئ وهو السميع البصير لاسمى له فى أرضه وسمواته لاعديل له فى حكمه وارادته حرام على العقول أن تمثل الله عزوجل وعلى الاوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع وعلى الضمائر أن تعمق وعلى النفوس أن تفكر وعلى الفكر أن يحيط وعلى العقول أن تتصور الا ما وصف به ذاته تعالى فى كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

عن هـذا مبتدع أخرجوه عني ولذلك قال رحمه الله تعالى (استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال) أي منزها عما ذكر لكونها من عوارض الاجسام وهو سبحانه وتعالى ليس بجسم هذا مذهب السلف وعليه الائمة الاربعة وأما مذهب الخلف فيصرفون اللفظ عن ظاهره أيضا ويزيدون عن ذلك بتعيين المراد من ذلك فيقولون استوى على العرش استواء لا كالاستواء المعهود بل المراد باستوى على العرش استولى على العرش استيلاء قهر وعظمة والاستواء في كلام العرب بمعنى الاستيلاء ثابت قال شاعرهم

قد استوى بشر على العراق ٭ من غير سيف ودم مهراق

ولا شك أن القرآن نزل بلغتهم فيفسر منه ماظاهره مشكلٌ بما ورد من لغتهم مما لا اشكال فيه ولو على طريق المجاز فالاستواء بمعنى الاستيلاء لاضير فيه فصرف اللفظ عن ظاهره متفقٌ عليه عند الفريقين وانما الخلاف بينهما في تعيين المراد ولكل وجهة (لا يحمله العرش) اذا تجلى عليه لضعفه بالنسبة لجلال الله وأي مخلوق يتحمل تجلي الخالق ولو تجلى عليه التجلي القهري لدك كما دك الجبل الذي أخبرنا الله بدكه بقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ويحتمل نفي الحمل المعلوم لنا لانتفاء المحمول أعني الجسم اى لا يحمله العرش لعدم الجسمية فالسالبة تصدق بنفي الموضوع وهو الجسم خلافا لمن أثبت له الجسمية نظرًا لظواهر يجب صرفها عن ذلك (بل العرش وحملته) أربعة ويزاد مثلهم يوم القيامة (محمولون بلطف قدرته) الحمل المعلوم لنا منفي

لانه لايكون الا بين جسمين والله تعالى ليس بجسم فيتعين صرف اللفظ عن ظاهره ويراد منه أنهم ممنوعون من الزوال بلطفه واحسانه تعالى وذكر القدرة لكونها سببا غير مؤثر ووصفها كالارادة بالتأثير مجاز لان التأثير ليس الا للذات القادر المريد المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقصان قال الله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا وكذا بقية المخلوقات (ومقهورون) مغلوبون ومأسورون (في قبضته) اى في ملكه يتصرف فيهم سبحانه وتعالى كيف شاء و بقية المخلوقات كذلك لاستواء نسبتهم اليه تعالى (وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء الى تخوم الثرى) العرش السرير والفوق أحد الجهات الست والسماء ما ارتفع فوق الرأس والشيء الموجود والتخوم المنتهى لكل شيء والثرى التراب الندي فالفوقية المعلومة لنا وهي استعلاء جسم على جسم مستحيلة عليه تعالى لاستحالة مايتصف بها عليه تعالى وهو الجسم وحيث استحالت الفوقية المعلومة لنا عليه تعالى فما المراد بها فى حقه تعالى الجواب الله أعلم بها نؤمن بها وبما شابهها كالاستواء والوجه واليد بعد صرفها عن ظاهرها كما علمت لكونها أتى به الصادق المصدق الذى قال الله تعالى في حقه ومما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولذلك قال رحمه الله تعالى (فوقية لا تزيده قرباً الى العرش والسماء كما لاتزيده بعداً عن الارض والثرى) أى فوقية لا ندرك معناها لان الفوقية المركوزة في اذهاننا مستحيلة عليه وانما يعلمها هو تعالى هذا مذهب السلف كما تقدم وأما مذهب

الخلف فيوافقون السلف في صرف اللفظ عن ظاهره ويزيدون بتعيين المراد من ذلك فيقولون المراد بالفوق العلو المعنوى وهو العزوالشرف والسلطة التامة كما هو المراد بقولنا السلطان فوق الوزير فلا يرتاب عاقل في صحة معناه لله تعالى فالفوقية فوقية قهر وسلطنة ومكانة لا مكان قال امام الحرمين يفيد ذلك حديث لا تفضلوني على يونس فلولا تنزهه عن الجهة لكان محمد في معراجه أقرب من يونس في نزول الحوت به لقاع البحر (بل هو) تعالى (رفيعٌ) شريف (الدَّرَجاتِ) أى الصفات (عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الارض والثرى) أى هو شريف الصفات عن العرش فلا يقال هو عن يمين العرش ولا العرش عن يمينه مثلا وعن السماء فلا يقال هو في السماء أو عن يمينها مثلا وعن الارض فلا يقال هو في الارض ولا عن يمينها مثلا وعن الثرى فلا يقال هو تحت الثرى مثلا لان الذي يوصف بهذه الاوصاف هو الجسم وهو مستحيل عليه تعالى أى هو منزه عن أن يقال في حقه تعالى هو عن يمين العرش أو العرش عن يمينه الى آخر ماتقدم وربما يتوهم متوهم من الكلام السابق انه غير قريب من الموجودات بجميع الاعتبارات فأفاد أنه قريب منها قرب مكانة ومحيط بها بعلمه بقوله (وهو مع ذلك قريب من كل موجود) اي والحال أنه مع كونه رفيع الدرجات عن العرش الخ هو قريب من كل موجود بعلمه سبحانه وتعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض (وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد) خص العبد بالذكر

مع كونه داخلا في كل موجود لشرفه ولأنه هو المكاف وليتيقن انه لا يغيب شيء من أقواله وافعاله عن الله تعالى حيث علم منه ما لم يعلم هو والحاصل أن المراد بقرب الله من العبد العلم به و باحواله لا يخفى عليه شيء من خفاياه فكأن ذاته قريب منه ومثل هذا ما يقال الله في كل مكان اي بعلمه تعالى أي هو تعالى محيط بعلمه بكل مكان و بكل زمان وبما احتويا عليه هذا هو المراد لاستحالة الامكنة عليه وانه تجوز بقرب الذات عن القرب بالعلم والحبل هو الوريد فالاضافة بيانية ولكل عبد وريدان وهما عرقان بصفحتي العنق (وهو على كل شيء شهيد) الشهيد من معانيه الذي لا يغيب عن علمه شيء أي وهو الذي لا يغيب عن علمه شيء وهذا يبين المراد من القرب المتقدم قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وعلل رفع درجاته عن العرش الخ بقوله (اذ لا يماثل قربه قربَ الاجسام) فقربه قربُ مكانة وعلم وقرب الاجسام قرب مكان و (كما) لا يماثل قربه قرب الاجسام (لاتماثل ذاته ذات الاجسام) فذاته تعالى منزه عن الاتصاف بالجرمية والعرضية والجهة والتقيد بالمكان والزمان والاتصاف بالحوادث والصغر والكبر والاغراض في الافعال والاحكام وذاتُ الاجسام تتصف بذلك وتنافي اللوازم يفيد تنافي الملزومات فثبت ان ذاته تعالى لا تماثل الذوات وقوله (وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكانٌ كما تقدس) تطهر وتنزه (عن أن يحده زمان) لازم لما قبله اذ

الحال والمحل واحتواء المكان وحد الزمان من متعلقات الاجسام وهو بائن منها تعالى ورفعَ الايدي الى السماء عند ارادة الدعاء لكونها قبلةَ لالان الله في السماء كما يظنه الجهلاء ونظيرُ ذلك الكعبة بالنسبة الى الصلاة فهي قبلتها ولا يجوز ان يقال ان الله في الكعبة أو في جهتها لما علمت أن الله تعالى منزه عن الامكنة وما هو من سمة الحوادث ووضح ذلك بالاضراب الانتقالي بقوله (بل كان قبلَ أن خلق الزمانَ والمكانَ) وغيرهما أي كان قائما بذاته تعالى ليس مفتقرا الى زمان ومكان وغيرهما قبل خلق الزمان والمكان وغيرهما (وهو الآن) و بعد الآن (على ما عليه كان) أي وهو الآن أي و بعد الآن على الوصف الذي كان عليه وهو قيامه تعالى بنفسه قبل خلق الزمان والمكان وغيرها (وانه بائن عن خلقه بصفاته) أي مع صفاته الجليلة أي هو مباين لخلقه فليست ذاته كذوات خلقه وليست صفاته أيضا كصفات خلقه لثبوت القدم وغيره من صفات الكمال لذات الله وصفاته وثبوت الحدوث وغيره من صفات النقص لذوات خلقه ولصفاتهم وهذا لازم لما قبله أيضا (ليس في ذاته سواه) بل هو هو أي ليس في ذاته سوى صفاته وصفاته عين ذاته بمعنى انها لا تنفك عنه فاشبهت العين والا فالصفة غير الموصوف ضرورةً (ولا في سواه ذاته) أي ولا تحل ذاته في سواه ضرورة ان الذوات لا تحل في أمثالها وليس هو صفة تحل في غيرها لمنافاة التعبير عنها بالذات ولمنافاة الاتصاف بصفات المعاني والمعنوية لها ضرورةَ بطلانِ اتصاف

الصفة بمثلها أو بضدها ففي كلامه رحمه الله تعالى رد على من جوز اتصافه بالحوادث وعلى من قال انه صفة تحل في عيسى عليه الصلاة والسلام (وأنه مقدس) مطهر ومنزه (عن التغير) من حال الى حال (و) منزه عن (الانتقال) من مكان الى مكان (لاتحله الحوادث) أي لا يتصف بالحوادث خلافا لمن جوز ذلك لمنافاة الحادث للقديم (ولا تعتريه) تغشاه (العوارض) ما يعرض للاجسام من مرض وغيره وهو تعالى منزه عن الاجسام وما يعرض لها (بل لا يزال في نعوت جلاله) أى نعوته الجليلة العظيمة (منزها) متباعدا (عن) خسة وعيب (الزوال) أى الفناء أى بل هو متصف بنعوته الجليلة ومتصف بصفاته العظيمة فالظرفية مجازية ومستمر التنزه عن الزوال اللازم للاجسام وهذا من نتائج ماقبله (وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال) أى ولا يزال مستغنيا عن زيادة الاستكمال لاتصافه بالكمالات التى لا تتناهى كيف والكمال منه بدأ واليه عودا وقولهم مامن كامل الا ويقبل الكمال موضوعه الحادث كما ان قوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم موضوعه الحوادث أيضا (وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول) أى وان وجود ذاته معلوم بالعقول السليمة من حيث ان الكون بتمامه أثر محتاج ابتداء ودواما ولا بد للاثر من مؤثر اذ يستحيل وجود أثر بلا مؤثر وصنعة بلا صانع وقد سئل (١) بعض العرب

(١ قوله بعض العرب) هو قس بن ساعده الذى ورد الحديث فيه انه يبعث أمة وحده وقال ذلك لما سئل عن الصانع الحكيم البعرة تدل على البعير

عن الدليل عن وجود الله فقال السير يدل على المسير والبقرة تدل على البعير وما هي الاسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج تدلان على اللطيف الخبير ﴿ تنبيه ﴾ اعلم وفقني الله واياك لمافيه رضاه ان ماذكره الشيخ رحمه الله تعالى من التنزيهات بعضها يغني عن بعض في افادة تنزيهه تعالى الا انه جنح الى التفصيل والتوضيح في ذلك أداء لحق الواجب في باب التنزيه وردا على الفرق الضالة كالمشبهة والمجسمة بابلغ أسلوب وآكده فلم يبال بتكرير الالفاظ المترادفة والتصريح بما علم التزاما كما أشرنا لبعض ذلك (مرئي الذات بالابصار) أي وأن ذاته تعالى ترى بالابصار أي الاحداق وكذا بغيرها خرقا للمادة رؤيا بغير اتصال الاشعة به تعالى و بغير كيفية و بغير انحصار في جهة خلافا لمن منع رؤياه تعالى لاعتقاده أن الرؤيا لاتكون الا بالاشعة المنبعثة من الرائي المتصلة بالمرئي ثم المنعكسة منه الى الرائي وهي بهذا الاعتبار تقتضي الجهة والتحيز والكيفية والله منزه عن ذلك وشنع على أهل السنة المعتقدين لرؤياه تعالى يوم القيامة الفائزين بها وتصرف في أدلة أهل السنة على ذلك بما لا داعي اليه من ان الاحاديث الدالة على

وأثر الاقدام على المسير فسماء ذات ابراج وأبحر ذات أمواج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العليم القدير وسأل الدهرية الشافعي عن دليل الصانع فقال ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيكون منها العسل والظباء فينعقد في نوافجها المسك والشاء فيكون منها البعر فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر رجلا

ذلك لم تصح مثلا وأن آية القيامة مؤولة بحذف مضاف ونحوه والداعي له على ذلك ما سمعت وهذا منه يعد خرقا للاجماع فمثله لا ينبغي الكلام معه فهو سبحانه وتعالى يُرى رؤيا لائقة بذاته المؤمنين يوم القيامة (نعمة منه) وفضلا (ولطفا بالابرار في دار القرار) أي يخلق في الابرار يوم القيامة قوة على رؤيته تعالى المنزهة عما نعهده في دارنا هذه نعمة منه عليهم ولطفا بهم لا وجوبا عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (و) مكنهم تعالى من رؤيته (اتماما منه للنعيم) الحاصل لهم فى الجنة (بالنظر الى وجهه الكريم) بيان ذلك أن الجنة بما احتوت عليه من الولدان والحور والغرف والقصور وغير ذلك نعيم عظيم من الله تعالى على عباده الابرار لا يمكن أن تحيط العقول ببعض وصفه ومع ذلك بالنسبة الى النظر الى ذاته تعالى ناقص فاتم الله سبحانه وتعالى ذلك النعيم على الابرار بالنظر الى ذاته تعالى وشرح هذه العقيدة على ما ينبغي من سوق الأدلة النقلية والعقلية ودحض الاعتراضات الواردة على ذلك والجواب عن أدلة الخصم يستدعي طولا وهذا المختصر لا يحتمل ذلك فعلى المعلم أن يأتي ببعض ذلك ان رأى قابلية في التلامذة ﴿ تنبيه ﴾ تقدم أني قلت والعقائد مدلول هذه الالفاظ الخارجي أعني النسبة الخارجية وهي متعلق العلم وذلك أن ادراك النسبة الخارجية هو الذي يسمى علما وحده على التحقيق وبقية الادراكات تسمى تصورا اجتماعا وانفرادا حتى النسبة الكلامية هذا بالنسبة لنا وأما بالنسبة لله تعالى فاحاطته بكل علم مثلا الله عالم قادر كلمعنى الله وحده أو

لمعنى عالم كذلك أو ادراكهما معا بدون ادراك نسبة بينهما أو ادراك النسبة وحدها أو ادراك اياها معهما أو مع أحدهما مجردا عن وقوعها أولا وقوعها يقال له تصور ولا يطلق عليه اسم العلم بل العلم هو ادراك وقوع النسبة في القضية الموجبة أي اتصاف الموضوع بمعنى المحمول بالفعل أو لا وقوعها في القضية السالبة أي عدم اتصاف الموضوع بمعنى المحمول وهي في مثالنا اتصاف الله تعالى بالعلم بالفعل وادراكنا لهذا الاتصاف هو العلم ان كان عن دليل وقولنا الله واحد لا شريك له العقيدة فيها اتصاف الله تعالى بمدلولي واحد ولا شريك له أي اتصاف الله تعالى بثبوت عدم التعدد وثبوت عدم الشريك له بالفعل وادراك ذلك الاتصاف هو المسمى بالعلم ان كان عن دليل كما تقدم وصفات السلوب وان كان معناها سلب كذا الا أنه ثابت لله تعالى فلذلك يعد صفة لله فالقدم معناه عدم افتتاح الوجود والبقاء معناه عدم اختتام الوجود والمخالفة للحوادث معناها عدم المماثلة للحوادث والقيام بالنفس معناه عدم الاحتياج الى المحل والمخصص والوحدانية معناها عدم التعدد في الذات والصفات والافعال اتصالا وانفصالا ولا شك أن معنى هذه الصفات ثابت لله تعالى بالأدلة العقلية والنقلية ويؤخذ من قول المصنف المعرف اياهم الى قوله مرئي الذات بالابصار ست صفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية وتقدم تعريف كل وأما مرئي الذات الخ فهي من قسم الجائز في حقه تعالى * ولما أنهى الكلام على صفة الوجود وصفات

السلوب شرع في الكلام على صفات المعاني ويقال لها صفات الذات فقال (الحياة والقدرة) تقدم أن مثل هذا يعد ترجمة فيعطى حكم التراجم في الاعراب والتقدير هذا باب الحياة والقدرة مثلا أي باب مايدل على ثبوت الحياة والقدرة لله تعالى ثم حذف المبتدأ فصار باب الحياة والقدرة ثم حذف الخبر المضاف للحياة والقدرة وأقيم المضاف اليه مقامه فارتفع ارتفاعه وتعريف الحياة يقال فيه هي صفة وجودية أزلية تصحح له الادراك قائمة بذاته والقدرة هي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بجميع الممكنات على طريق الايجاد والاعدام (وأنه تعالى حي) بحياة زائدة على الذات زيادة الصفة على الموصوف (قادر) بقدرة زائدة على الذات زيادة الصفة على الموصوف أي والمعرف اياهم ثبوت كونه حيا وقادرا بقوله تعالى هو الحي لااله الا هو وبقوله تعالى والله على كل شئ قدير وغير ذلك من الآيات ومن المعلوم من كلام فصحاء العرب الذين نزل القرآن بلغتهم أن المشتق لابد له من مبدا الاشتقاق فلا يجوز عندهم أن تصف شخصا بعالم أو بشجاع أو بكريم من غير أن يتصف بمبدا الاشتقاق وهو العلم في الاول والشجاعة في الثاني والكرم في الثالث الا على طريق المجاز التهكمي والعلاقة الضدية فيدل قوله تعالى هو الحي على ثبوت حياة أزلية له تعالى وقوله والله على كل شئ قدير على ثبوت قدرة قديمة له تعالى اذ لايقول انه حي بدون حياة وقادر بدون قدرة الا من خذله الله تعالى حيث قال انه حي بذاته لابحياة زائدة على الذات وقادر بذاته لا

بقدرة زائدة على الذات وغرضه بذلك أن ينزهه تعالى عن تعدد القدماء على حسب عقله الزائغ لكنه لم يوفق للتنزيه بل للتعطيل والعياذ بالله تعالى وذلك أن تعدد القدماء الممنوعَ شرعا وعقلا هو تعددُ الذوات لا تعددُ الصفات لذات واحدة والادلة العقلية قاضية بذلك كالشرعية أي باتصافه تعالى بالحياة والقدرة الزائدتين على ذاته تعالى واذا علمت الكلام على الحياة والقدرة فقل في بقية صفات الوجود كذلك (جبار) قيل بمعنى قهار أي الذي جبر وقهر عباده على ما أراد وقال ابن عباس الجبار هو العظيم من الجَبَرُوتِ وجبروت الله عظمته وعليه فهو صفة ذات بخلاف المعنى الاول لكونه فيه صفة فعل (قاهر) أي قادر وغالب لا يصده شئ عن مراده ومن كان هذا وصفه (لا يعتريه) أي لا يغشاه ولا يطرأ عليه (قصور) أي فتور وعجز وقوله (ولا عجزٌ) تفسير لقصور (ولا تأخذه سنة) السنة النعاس وهو من مقدمات النوم (ولا نوم) النوم معروف وهو استرخاء الاعضاء مع عدم الشعور بشرط امكان ايقاظ صاحبه ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة (١) فكأنه قال لا تأخذه السنة التي هي من مبادي النوم فضلا عن أن يأخذه

(١ قوله فكأنه قال الخ) قال الشعراني في الجواهر وسألت شيخنا سيدي عليا الخواص عن قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم هل خلع الله هذه الصفة على أحد من عباده المقربين من البشر قال نعم لكن مدة لا مطلقا وقد وقع ذلك لسيدي عيسى بن نجم بساحل البحر المالح بنواحي البرلس مكث سبعة عشر سنة لم يغمض له جفن في ليل ولا نهار ثم مات

النوم وقوله ولا تأخذه سنة ولا نوم كالتعليل لما قبله وانتفيا عنه تعالى لانتفاء محلهما وهو الجسم الحي (ولا يعارضه) يجانبه و يطرأ عليا (فناء ولا موت) لاستحالتهما عليه تعالى اذ هما من عوارض الاجسام وهو منزه عن ذلك كما تقدم في باب التنزيه قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه (وأنه ذو الملك أي وانه سبحانه وتعالى صاحبُ ملك السموات والارضين وما شابههما في الحدوث من حيث انه أوجدهما وأمدهما بالبقاء (والملكوتِ) أي وأنه صاحبُ الملكوت أي العز والسلطان والعظمة (والعزة) أي وأنه صاحب العزة ومعناها معنى الملكوت (والجبروت) أى وأنه صاحب الجبروت وجبروت الله عظمته كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما (له السلطان) أي العز الكامل الذى لاعزَّ بعده (و) له (القهر) أي الغلبة التامة على كل أحد (و) له تعالى (الخلق) جميعاً (و) له (الامر) أي التصرف في الخلق من غير معارض والخلق بمعنى المخلوق فهو الموجد للمخلوقين والمتصرف فيهم لا يشاركه في ذلك أحد تعالى عن ذلك علواً كبيراً وهذا وما قبله بمعنى واحد وهو ثبوت الحياة والقدرة له التامتين و باتصافه تعالى بذلك وبما يأتي بيانه أوجد وتصرف (والسموات مطويات) مجموعات وملفوفات والمراد هالكات وفانيات (بيمينه) قدرته وقوته أي والسموات هالكات وفانيات بقدرته وقوته يقال انطوى عنا كذا بمعني مضى وذهب وهذا من أفراد التصرف المعبر عنه بالامر سابقاً (والخلائق) كلهم (مقهورون) مغلوبون (في قبضته) في ملكه فهو

المتصرف فيهم كيف شاء وأراد (وأنه المنفرد بالخلق والاختراع) الخلق يطلق على التقدير وعلى الايجاد بعد عدم والمراد هنا الاخير والاختراع ويرادفه الابتداع هو الايجاد على وجه لم يسبق مثله والمنفرد والمتوحد والمتفرد بمعنى واحد خلافاً لمن منع المنفرد في حقه تعالى ومعنى كل هو القائم بالشئ وحده أي والمعرف اياهم ثبوت انفراده بايجاد الاشياء على وجه لم يسبق مثله من غير معين ولا مشارك له فى ذاك وهذا من مشمولات ماتقدم (المتوحد بالايجاد والابداع) أي الذى توحد وانفرد بالايجاد والابداع على وجه لم يسبق مثله وهذا منه رحمه الله تعالى اشارة الى وحدة الافعال التي سيوضحها بعد أى الذى لايشاركه أحد في فعل ما أو يوجد لغيره فعل على طريق الايجاد والاختراع وأما على طريق الكسب فثابت والحاصل أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته اتصالا بمعنى أن ذاته غير متركبة من أجزاء وانفصالا بمعنى أن لا يوجدَ ذاتٌ كذات الله تعالى و واحد فى صفاته اتصالا بمعنى عدم التعدد في الصفات من نوع واحد كعلمين وقدرتين وانفصالا بأن لايوجد لغيره صفة كصفة الله تعالى و واحد في أفعاله انفصالا بأن لا يكون لغيره فعل كفعله واتصالا ان فسر بالمشارك في الفعل وأما تعدد أفعاله كالخلق والرزق فثابت (خلق) أوجد (الخلق) المخلوقين (وأعمالهم) اى ما يصدر عنهم ضروريًا كان أو اختياريًا ونسبت اليهم لمباشرتهم لها أي خلق المخلوقات بذلك الخلق وأعمال من له عمل أو براد بالخلق خصوصَ من له عمل ينسب اليه وغيره

احرى بالمخلوقية فهو خالق للعباد ولعمله ضروريا كان أو اختياريا خيرا كان أو شراً وليس له في عمله الاختياري الا الكسب أي ميله لذلك الفعل المجرد عن الخلق وبهذا الكسب وقع التكليف وهو الحق الذى جرى عليه السلف الصالح الذين هم القدوة في جميع الاحكام أصلية كانت أو فرعية فلا عبرة بمن نفى الاختيار بالمرة ولا بمن فصل بين الاختياري والضروري والخير والشر قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون (وقدر أرزاقهم وآجالهم) أى قدر ارزاق الخلق ازلا من غني وفقر فكل موفي ماقدر له لا يتخلف شيء مما كتب له ولا يزاد له فيه وهذا بالنظر لما فى علم الله تعالى والآثار الواردة في زيادة الرزق وضده وفي السعادة وضدها اما كنايات عن البركة في ذلك وضدها واما باعتبار مافي اللوح المحفوظ فان فيه ما يقبل المحو والاثبات قال الله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أى وقدر آجالهم فلا يمكن ان يؤخر مؤجل عن أجله أو يقدم على ذلك قال الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وما تقدم يأتي هنا (لا يَشذ عن قبضته مقدور) شذ انفرد أي لا ينفرد ويخرج عن ملكه وتصرفه مقدور مابل الكل تحت قهره وسلطنته قال الله تعالى وهو القاهر فوق عباده (ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور) عزب ذهب وغاب أي لايخفى عليه تعالى شئ حتي يذهب ويغيب عن تعلق قدرته تصريف من تصاريف الامور الممكنات ايجادا أو اعداماً (لاتحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته) اي بالنسبة لنا وكذا بالنسبة

له ومع ذلك فهو محيط بها علما قال الله تعالى قد احاط بكل شئ علما (العلم) العلم صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تعلقت بالاشياء على وجه الاحاطة على ماهي عليه دون سبق خفاء (وأنه عالم بجميع المعلومات) بذلك العلم واجبة كانت أو مستحيلة أو جائزة فهو سبحانه وتعالى يعلم بعلمه ذاته وصفاته التي من جملتها العلم ويعلم عدم الشريك له وعدم جمع النقيضين والضدين فعلم المستحيل هو علم نفي وقوعه لا علم وقوعه والا كان جهلا والجهل عليه محال ويعلم الجائزات باسرها والواجب ينقسم الى قسمين ذاتي وهو الذي لايقبل الانتفاء بحال وعرضي وهو الذي لا يقبل الانتفاء بحال نظرا لشئ آخر مثلا اذا تعلق علم الله بوجود زيد صار وجود زيد واجباً لا يقبل الانتفاء بحال نظراً لعلم الله تعالى فوجوبه عارض لما علمت وكل وجوب نسب لذات الله ولصفاته تعالى فهو ذاتي والمستحيل ينقسم الى قسمين ايضاً ذاتي وهو الذي لا يقبل الثبوت بحال وعرضي وهو الذي لا يقبل الثبوت بحال ايضاً نظراً لشئ آخر كعدم وجود زيد في المثال السابق نظراً لتعلق علم الله بوجوده ايضاً والجائز ولا يكون الا ذاتياً وهو الذي يقبل الثبوت والانتفاء على طريق التعاقب (محيط) بعلمه (بما يجري ويقع (من تخوم) منتهى (الارضين) فصاعدا (الى اعلى السموات) أي الافلاك ليدخل الكرسي والعرش اي وانه محيط بعلمه بما يجري ويقع من منتهى الارضين الى اعلى الافلاك فهو كناية عن احاطة علمه بجميع المعلومات أي يعلم ما يقع في العالم ولا يخفى عليه شئ

(وانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء) اي وأنه عالم لا يذهب و يغيب عن علمه مثقال ذرة زنة ذرة نملة صغيرة وقيل هي الهباء وقيل شيء لا يعلمه الا الله في الارض ولا في السماء اي تعلق علمه بالكبير والصغير والظاهر والخفي اي بالنسبة لنا والا فلا يقال بالنسبة له تعالى ظاهر وخفي بل جميع الاشياء عنده ظاهرة ظهوراً لا تفاوت فيه و بين ذلك بالاضراب الانتقالي بقوله (بل أجمع المسلمون على أنه تعالى (يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء) اي يعلم تعالى حركة النملة السوداء على الصخرة الصلبة التي لا تسمع الحركات عليها في الليلة الشديدة الظلام ومثل هذا بالنسبة لنا يستغرب بل مدعيه يكذب وأما بالنسبة له تعالى فلا يستغرب بل يجب الايمان به وقد تقدم أن جميع الاشياء عنده ظاهرة ظهوراً لا تفاوت فيه كيف لا يعلمها وهو خالقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقوله (و يدرك) أى يعلم بناء على عدم ثبوت صفة الادرك له تعالى (حركة الذر في جو الهواء) هو بمعنى ماقبله أي ويعلم حركة النملة الصغيرة الطائرة في الهواء أو الهباء والجو مابين السماء والارض والهواء كذلك فالاضافة لفظية أو من أضافة المحل الى الحال ان اراد بالهواء الهواء المسخر فيما بين السماء والارض (و يعلم السر وأخفى) أي و يعلم تعالى السر وهو ماتحدث به نفسك وأخفى منه وهو مالم تحدث به نفسك الآن وستحدثها به بعد أو غير ذلك قال الله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى (و يطلع على هواجس الضمائر)

أي و يعلم تعالى خواطر القلوب وما يطرأ عنها واضافة هواجس الى الضمائر اضافة الحال الى المحل وقوله (وحركات الخواطر) أي في الضمائر عين ماقبله أي و يعلم حركات هي الخواطر لطروها ونزولها بغتة على صاحبها أو المراد بحركاتها تعاقبها خاطراً بعد خاطر وعلى كل لابد من التجوز وما تقدم في التنبيه من انه لا يبالي بالتكرار ولا باغناء لازم عن ملزوم يأتي هنا وفيما يأتى ومقصده في ذلك حسن رضي الله تعالى عنه (وخفيات السرائر) أي و يعلم السرائر الخفيات أي بالنسبة لنا كما تقدم و وصف السرائر بالخفيات كاشف (بعلم قديم أزلي) الازلي والقديم بمعنى على التحقيق وهو الذى لا افتتاح لوجوده (لم يزل موصوفاً به في ازل الآزال) أي لم يزل موصوفاً به في القدم وفيما لا يزال فعلمه تعالى قديم لاحادث ولذا قال (لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال) أي يعلم ماتقدم ذكره بعلم قديم أزلي لا بعلم حادث طارئ في ذاته تعالى بعد أن لم يكن كعلمنا خلافا لمن قال العلم أنف تعالى عن ذلك علوا كبيراً (الارادة) و يرادفها المشيئة وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض مايجوز عليه من الامور المتقابلات (وأنه تعالى مريد) في الازل (للكائنات) الكون الحدث أي تعلقت ارادته تعالى ازلا بكل مايجوز اتصافه بالحدوث وهو الممكنات (مدبر للحادثات) أي مدبر للممكنات ازلا من غير فكر مايتعاقب عليها من وجود بعد عدم وموت بعد حياة وجهة بدل جهة ومكان بدل مكان وصفة دون صفة ومقدار دون

مقدار وفقر بدل غنى وعلم بدل جهل وهكذا ولذا قال رحمه الله تعالى (فلا يجري في الملك والملكوت) أى فيما ظهر لنا وفيما خفي عنا أو المراد بالملك ماسفل و بالملكوت ماعلا والله تعالى أعلم (قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر ايمان أو كفر عرفان) معرفة وعلم (أو نكر) جهل النكر و زان قفل الامر القبيح ولا أقبح من الجهل (فوز) بمرغوب فيه (أو خسران) في أمر مرغوب فيه (زيادة) على شئ (أو نقصان) من شئ (طاعة) لله بامتثال أوامره واجتناب منهياته (أو عصيان) لله بعدم امتثال أوامره وارتكاب منهياته أي فلا يجري في الملك والملكوت الخ (الا) متلبساً (بقضائه وقدره) من تلبس المتعلق بالمتعلق به فالقضاء والقدر بمعنى على قول وهو تقدير الله تعالى الاشياء ازلا وارادته اياها وعلمه بها كذلك ولا احتياج الى الفرق بينهما وحاصل ماقال رحمه الله تعالى أن مايقع في الكون مما جل أو قل لا يقع الا متلبساً بما قضاه الله عليه وقدره له فلا يتأتى تخلف ما قضاه الله وقدره ازلا كيفما كان فكلامه يدل على عموم تعلق ارادته وقدرته بجميع الممكنات ولا مشارك له في ذلك وهو كذلك لقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وقوله تعالى هل من خالق غير الله (وحكمته) علمه (ومشيئته) ارادته أي ولا يجرى الخ الا متلبساً بعلمه وارادته فما علم واراد وقع ومالا فلا ولذا فرع على ماتقدم قوله (فما شاء) أي فالذي علم واراد وجوده (كان) وجد كما علم واراد (ومالم يشأ) أي والذى لم يعلم ولم يرد وجوده (لم يكن) أى لم يوجد أصلا (لا يخرج

عن مشيئته) ارادته (لفتة) التفاتة (ناظر) شخص ناظر (ولا فلتة) ما ينقضي بسرعة (خاطر) ما يخطر بالبال لازم لما قبله والغرض من ذلك النصيحة فلا يبالي بالتكرار ولا باغناء لازم عن ملزوم وهذا دأب من يراعي مصلحة الضعفاء ولا يكون علمه الا لله (١) كابن أبي زيد القيرواني (بل هو المبدئ) للاشياء عن عدم محض المخترع لها بنفسه لا مشارك له في ذلك ولا مدبر ولا وزير ولا معين ولا منفعة تعود عليه من ذلك بل حكمته اقتضت ذلك فلا يفعل لغرض ولا يترك لغرض تنزه عن الاغراض في الافعال والاحكام (المعيد) لها لا لامر يخصه سبحانه وتعالى بل أعادهم بنفسه ليجازي من يستحق الجزاء جزاء خير كان أو جزاء شر فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير (الفعال لما يريد) الفعال صيغة مبالغة أي كثير الفعل لما أراده فلا يتخلف مراد عن فعله والمراد له تعالى ذوات وصفات وأفعال فهو الفعال لكل ما أراده منها لا يعترض عليه في شيء قال القفال فعال لما يريد على ما يراه لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة يتنعمون فيها بأنواع النعيم لا يمنعه منه مانع ويدخل أعداءه النار يعذبون فيها بأنواع العذاب لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويعذب من شاء في الدنيا والآخرة يفعل من هذه الاشياء ومن غيرها ما يشاء ويريد اه ولهذا قال (لا راد لامره ولا معقب لقضائه) أى

---

(١) قوله كابن ابي زيد الخ اى في رسالته الفقهية

لاصارف لما أراده وقضاه ازلا بل ما قضاه لا بد منه على حسب ما قضاه ولا أحد يتعقب ماقضاه وحكم به بنقض أو تغيير لعدم من يرد ويتعقب عليه في مقضياته قال تعالى لامعقب لحكمه (ولا مهرب) أى ولا فرار ولا ملجأ (لعبد من معصيته) أى عن مخالفته أى بتركه للاوامر وبارتكابه للمنهيات في حال من الاحوال (الا) في حال تلبسه (بتوفيقه) أي بخلق الطاعة فيه (ورحمته) وهدايته لاسبابها (ولاقوة له) أي ولا طاقة له (على طاعته) بامتثال أوامره واجتناب منهياته في حال من الاحوال وزمن من الازمان (الا) في حال تلبسه (بمشيئته وارادته) من تلبس المتعلق بالمتعلق به والمشيئة والارادة بمعنى كما تقدم وفرع على ما تقدم قوله (فلو اجتمع الانس) أولاد آدم عليه السلام (والجن) قيل أولاد ابليس اللعين وقيل غير ذلك (والملائكة) هم اجسام نورانية لايوصفون بذكورة ولا بانوثة ولا يأكلون ولا يشربون ولا عن طاعة الله يفترون (١) لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

(١ قوله لايعصون الخ) ذكر الشعراني فى الجواهر عن شيخه سيدي على الخواص قال وسألته عن قوله تعالى لايعصون الله ماأمرهم الخ هل ذلك عام في جميع الملائكة أو خاص بطائفة منهم فقال جميع ملائكة السموات معصومون لانهم عقول مجردة فهم مطيعون بالذات لايعرفون للمخالفة طعما وأما الملائكة الارضية الذين لا يصعدون الى السماء فهم غير معصومين لذلك وقع ابليس فيما وقع اذ كان من ملائكة الارض الساكنين بجبل الياقوت بالمشرق عند خط الاستواء وهنالك جنة البرزخ التى أخرج منها آدم وأهبط وهي جنة يدخلها العارفون

(والشياطين) هم أولاد إبليس الرجيم سموا بذلك لتمردهم بخروجهم عن طاعة الله تعالى و باذايتهم للخلق وكل متمرد شيطان فلو اجتمع من تقدم ذكرهم (على أن يحركوا في العالم) هو ماسوى الله وصفاته القديمة (ذرة) نملة صغيرة هي كناية عن القلة اذ الذرة لا بال لها فإذا عجزوا عنها فعجزهم عن غيرها أحري (أو يسكنوها) أي الذرة (دون ارادته ومشيئته) أي من غير أن تتعلق ارادته ومشيئته تعالى بالتحريك أو التسكين (لعجزوا عن ذلك) أي عن تحريكها أو تسكينها لعدم تمام آلاتهم اذ آلاتهم من ارادة وقدرة لا تتم الا اذا تعلقت ارادة الله وقدرته بآلاتهم وما ينشأ عنها فآلاتهم وما ينشأ عنها من متعلقات ارادته تعالى وقدرته فلا يقع في ملكه الا ما اراد خيرا كان أو شرا صلاحا أو غيره خلافا لمن ضل هنا لتوهمات قامت به داحضة مردودة عليه بأدنى تأمل فارادة المخلوقات ومراداتهم مرادة لله تعالى فلا يشذ عن ارادته شئ والآيات الدالة على ذلك كثيرة والاحاديث كذلك منها واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اه أي رفعت الاقلام وثبتت الاحكام وجفت الصحف أي كتابتها

بارواحهم لااجسادهم اه وما قاله في الفرق بين ملائكة السماء والارض والجنة التي أهبط منها آدم وغيرها قاله كثير ممن عداه وان كان المشهور على خلاف كلا القولين

وهذا كناية عن قدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير أي بالنسبة لما في علم الله (وأن ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته) أي ومما يجب اعتقاده أن ارادته مع جميع صفاته الوجودية والمعنوية على القول بها والنفسية وهي الوجود قائمة بذاته تعالى قيامَ الصفة بموصوفها ومن المقرر أن حكم الصفات حكم الذات وهو القدم الذاتي لكل خلافا لمن زل هنا عفا الله عنا وعنه حيث قال ممكنة لذاتها قديمة بالنسبة للذات (لم يزل كذلك موصوفا بها) أي لم يزل كذلك أي بالقيام المتقدم موصوفا بها أي بالارادة مع جملة الصفات و بين معنى قيام الارادة بذاته واتصافه بها أزلا بقوله (مريدا في أزله لوجود الاشياء) أي انه سبحانه وتعالى اراد في أزله وجود ما علم وجوده من الاشياء (في أوقاتها التي قدرها) وحدها لها (فوجدت) أي برزت في الخارج وظهرت (في أوقاتها) المحدودة لها وجودا (كما اراده في أزله) أي كالوجود الذي اراده أزلا (من غير تقدم) عن الوقت الذى اراده الله (ولا تأخر) عن الوقت الذي اراده الله (بل وقعت) الاشياء في أوقاتها (على وفق علمه وارادته) أي وقعت وقوعا موافقا لما علمه الله واراده (من غير تبدل ولا تغير) لاستحالة التبدل والتغير والتقدم والتأخر لمنافاة ذلك العلم (دبر الامور) أي قدرها وحددها على حسب ما علم (لا بترتيب أفكار) جمع فكر وهو التأمل في عاقبة الامر أي لا بتأملات لاستحالة التأمل عليه لانه انما يكون ممن يصيب تارة ويخطئ تارة أخرى وهو الحكيم العليم تنزه عن صفات الحوادث (ولا تربص زمان)

عين ما قبله معنى فهو منفي أيضا وحاصل ما يقال هنا أن الله سبحانه وتعالى اذا أراد وجود زيد مثلا في جهة المغرب في تونس طويل القامة أبيض اللون في أول يوم من محرم افتتاح سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف ارادة تابعة لعلمه في التعقل وجد كما اراده تعالى ولا بد والا يلزم الجهل أو الكراهية وهما مستحيلان عليه وهذه الارادة تعلقت بالمراد المذكور من غير تأمل لان التأمل يلزم منه شغل المتأمل عن غير المتأمل فيه ولربما فات لضيق وقته وهذا مستحيل عليه تعالى وفرع مسببا على سببه قوله (فلذلك) أي فلاجل ما تقدم من تدبير الامور من غير تأمل وزمان (لم يشغله) لم يلهه (شأن) أمر من الامور (عن شأن) عن أمر آخر ومن هذا القبيل قوله تعالى كل يوم هو في شأن أي كل يوم يبدئ ويظهر أمورا ارادها أزلا ولا يبتديها أي يتجدد تعلق علمه وارادته بها بعد أن لم يكونا كذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل علمه وارادته صفتان قديمتان تعلقتا أزلا تعلقا تنجيزيا قديماً بكل ممكن فما يقع في الوجود من عز وذل وغنى وفقر ووجود وعدم وصحة ومرض وفرح وحزن وعلم وجهل وايمان وكفر وأمانة وخيانة وسخاء وبخل وشجاعة وجبن وأمان وخوف ورخاء وغلاء وسعة وضيق وتواضع وكبر وحلم وغضب ونصيحة وغش وطاعة ومعصية وولاية وعزل وجاه وعدمه وشرف ودناءة وفطنة وبلادة وقوة وضعف وحزم وكسل وغير ذلك مما لا يحصى كثرة معلوم مراد له تعالى وسيأتي الكلام على ما يلائم صفاته تعالى قريبا ان شاء الله تعالى

﴿ فائدة ﴾ الارادة والمشيئة والقدرة تتعلق بالحسن والقبيح والامر والرضا والمحبة لاتتعلق الا بالحسن قال الله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء وقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقال تعالى ان الله لايحب كل خوان كفور وقال تعالى ان الله يحب المحسنين فلا يأمر الا بما يحب ويرضى خلافا لمن فسر الارادة بالامر والرضا لعدم التلازم بينهما فقد يريد ويشاء ويقدر ويأمر ويحب ويرضى كايمان المؤمنين والعكس أي لا يريد ولا يشاء ولا يقدر ولا يأمر ولا يحب ولا يرضى ككفر المؤمنين وقد يريد ويشاء ويقدر ولا يأمر ولا يحب ولا يرضى ككفر الكفار ومعصية الفساق وقد يأمر ويحب ويرضى ولا يريد ولا يشاء ولا يقدر كايمان الكفار وطاعة الفساق وذلك أن الارادة ومافي حكمها اذا تعلقت بشيء لا بد من ابرازه على حسب ما تعلقت به والا يلزم عليه ماهو مستحيل في حقه تعالى وهو الكراهية أو الجهل بخلاف الامر وما في معناه اذا تعلق بشيء لايلزم منه حصول المأمور به لانه لا يلزم من عدم الحصول ما هو مستحيل في حقه وانما يلزم المخالفة والعصيان وهما ثابتان شرعا ومحبة الله للشيء ورضاه به كناية عن قبوله والاثابة عليه فضلا منه (السمع والبصر) هما صفتان وجوديتان أزليتان قائمتان بذاته تعالى تحيطان بكل موجود قديما كان أو حادثا احاطة غير احاطة العلم واحاطة كل منهما غير احاطة الاخرى بلا غطاء في احاطة العلم حتى يزول باحاطتهما و بلا غطاء في احاطة احداهما حتى

يزول باحاطة الاخرى بل كل من الصفات الثلاث محيط احاطة لاخفاء معها والفرق بين الاحاطات وحكمة ذلك يعلمهما الله سبحانه وتعالى فهو سبحانه يسمع ويبصر ذاته وصفاته وسائر الموجودات أجراما كانت أو أعراضا بغير آلة و بغير حد وكيفية في المسموع والمبصر ووضح المقام رحمه الله تعالى بأ كثر من هذا بقوله (وأنه تعالى سميع بصير) بسمع وبصر قديمين قائمين بذاته تعالى اذ لايوجد الوصف بدون صفة كما تقدم أى والمعرف اياهم ثبوت سمع و بصر له تعالى بقوله وهو السميع البصير (يسمع ويرى) ازلا وأبداً بسمع و بصر كما تقدم (لايعزب عن سمعه مسموع) أى لا يغيب و يذهب عن سمعه مسموع بالنسبة له وهو الموجودات كلها لاما يسمع لنا فقط وهو الاصوات على وجه مخصوص هذا اذا عظم المسموع في نفسه كالعرش والكرسي أو صغر كذلك كالذرة بل (وان خَفِيَ) كحديث النفس (ولا يغيب) يذهب وكثير مايتفنن رحمه الله تعالى (عن رؤيته) أى لا يغيب ويذهب عن بصره (مَرْئِي) أى مبصَر بالنسبة له تعالى وان لم يكن مبصراً لنا كالاصوات هذا اذا كان عظيما في نفسه كالرعد والصواعق بل (وان دق) أى قل في نفسه كالخاطر (ولا يحجب) أى لا يمنع (سمعه) أى وبصره (بعد) ضد القرب خلافا للحوادث (ولا يدفع) أى ولا يصد (رؤيته) أى بصره وكذا سمعه (ظلام) ونحوه بخلاف الحوادث بل (يرى من غير حدقة وأجفان) الحدقة سواد العين الاعظم والجفن ما تغطى به العين أى يرى سبحانه وتعالى من غير جارحة

(ويسمع من غير أصمخة وآذان) الصماخ بالكسر خرق الاذن وقيل هو الاذن نفسها وعليه فعطف الآذان عليه تفسير له أي يسمع ويرى سبحانه بغير مانعهده (كما يعلم) أي يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان رؤيا وسمعاً مشابهين لعلمه (بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة) بين الخالق والمخلوق أي يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان رؤيا وسمعاً مماثلين لبطشه بغير جارحة وخلقه بغير آلة فهو مخالف لغيره سبحانه وتعالى في جميع ماتقدم اذ غيره لايرى من غير حدقة وأجفان ورؤياه مع ذلك قاصرة على أفراد بعض مايرى له تعالى وهي الاجرام وأعراضها الظاهرة بشرط المواجهة وعدم البعد جداً وعدم المانع ولا يسمع الا بأصمخة وآذان وسمعه أيضاً قاصر على بعض أفراد مايسمع له تعالى وهو الاصوات بشرط عدم البعد جداً وعدم الخفاء جداً وعدم مانع آخر ولا يعلم الا بقلب مع دماغ ولا يبطش الا بجارحة ولا يكتسب شيئاً الا بآلة كالذبح بالسكين والكتابة بالقلم وعلل ماتقدم بقوله (اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لاتشبه ذاته ذوات الخلق) فصفاته تعالى قديمة وصفات الخلق حادثة وصفاته تعالى تامة التعلق وصفات الخلق غير تامة التعلق فاحتاجت الى آلات وثبت عدم تشابه صفاته تعالى لصفات خلقه لعدم تشابه ذاته تعالى لذوات خلقه ضرورة أن حكم الصفة حكم الموصوف فلا يوصف قديم بحادث ولا يوصف حادث بقديم للمباينة التامة بين القديم والحادث خلافاً لمن ضل في ذلك

و بيان وجه المخالفة بين ذاته وذوات خلقه أن ذاته تعالى لا ابتداء له ولا انتهاء له وأنه غير محتاج الى من يخصصه وأنه واحد في ذاته لا تركب فيه وأنه متصف بصفات قديمة الى غير ذلك وأما ذواتهم فلها ابتداء ولها انتهاء وأنها محتاجة الي من يخصصها وأنها متركبة بالمشاهدة وأنها متصفة بصفات حادثة وهلم جرا (الكلام) هو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى منزهة عما يوصف به كلامنا من السكوت والآفة والالفاظ وما يلزمها تتعلق بما تعلق به العلم من الواجبات والجائزات والمستحيلات ولكن وجه التعلق مختلف كما سيظهر ان شاء الله تعالى (وأنه تعالى متكلم) بكلام أزلي حقيقةً لا مجازا بدليل التأكيد في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما والتأكيد يرفع احتمالَ المجاز فيما يتأتى فيه الحقيقةُ والمجازُ وأما ما يتعين فيه المجاز كقوله

* وعجت عجيجا من جذام المطارف * فهو لمجرد التأكيد والكلام وان كان صفةً واحدةً الا أنه يتنوع باعتبار متعلقه فان تعلق بأمر سمى أمرا وان تعلق بنهي سمى نهيا وهكذا ولذا قال (آمر) بكأقيموا الصلاةَ و (ناه) بكولا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة (واعد) بكفمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و (متوعد) بكومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ونحو ذلك لكن لا بالفاظ وما يلزمها من التقدم والتأخر واللحن والاعراب وغير ذلك بل يفهم منها الامر والنهي وغيرهما لو أَطلِعَ عليها كما يفهمان وغيرهما من الالفاظ الدالة عليهما وعلى غيرهما (بكلام أزلي قديم) هما بمعنى على التحقيق (قائم بذاته)ضرورةَ امتناع قيام الحوادث

بذاته تعالى لايعتريه سكوت ولا آفةٌ تمنعه من الكلام فهو متكلم دائما وأبدا ولذا قال (لا يشبه كلام الخلق) وهو ما كان بالفاظ وحروف وكذا لا يشبه الاصوات الساذجة (فليس) كلامه القائم بذاته (بصوت) هو ما يسمع وهو عرضٌ ضرورةً والله منزه عن الاعراض (يحدث من انسلال هواء) كالحادث بين قالع ومقلوع وكالالف اللينة (أو اصطكاك أجرام) كالحادث بين قارع ومقروع (ولا بحرف ينقطع باطباق شفة) كالحروف الشفوية (أو تحريك لسان) ضرورةً أنها أعراض حادثة مشروط حدوثُ بعضها بانقضاء البعض لان امتناع النطق بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الاول بديهي خلافا للحنابلة والكرامية القائلين بان كلامه تعالى عرضٌ من جنس الاصوات والحروف ومع ذلك فهو قديم والمراد نفي جنس الحرف سواء كان مخرجه الحلق أو اللسان أو الشفة أو الخيشوم بناء على أن الغنة حرفٌ أو الجوفُ ولا شك أن هذه المخارجَ أجسام وهو منزه عن الجسمية فيتنزه عما يحدث عن الجسمية هذا في حق الكلام الازلي القائم بذاته تعالى وأما كلامه المنزل على رسله عليهم الصلاة والسلام فهو بالفاظ وحروف محفوظة تخيلا ومنطوق بها تلاوة ومرسومة باشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليها ويوصف بالحدوث لتجدده بعد أن لم يكن وهذا لايرتاب فيه عاقل ولا يتوهم فيه متوهم على أنه تقدم أن القديم لايتصف بالحوادث وأن الحادث لايتصف بالقديم وانما فر الافاضل كالامام أحمد رضي الله عنه من التصريح بهذا الوصف

لئلا ينجر هذا الوصف الى الصفة القـديمة القائمة بذاته تعالى هذا هو المتعين وغيره لايقوله متدين لكن الادب يقتضى أن لايعبر بالحدوث الا في مقام التعليم والتأليف وأشار الى ذلك مع احتياج صرف بعض الالفـاظ عن ظاهرها ليوافق الجماعة بقوله (وأن القرآن) أي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو اللفظ البليغ المعجز البشر وغيرهم المتحدى بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته المحفوظ من التبديل والتغيير الى يوم القيامة الذي قال في حقه تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (والتوراة) المنزلة على سـيدنا موسى عليـه الصلاة والسلام (والانجيل) المنزل على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام (والزبور) المنزل على سيدنا داود عليه الصلاة والسلام (كتبه المنزلة على رسله) المتقدم ذكرهم (عليهم السلام) و بقية الـكتب المنزلة حكمها كحـكم هـذه الاربعة (وأن القرآن) كلام الله (مقروء بالالسنة) بالحروف الملفوظة المسموعة (مكتوب في المصاحف) باشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه (محفوظ في القلوب) أي بالالفاظ المخيلة (وأنه مع ذلك) غير حال فيها أي فى الالسنة وفى المصاحف وفي القلوب بل معنى (قديم قائم بذات الله تعالى) يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه دلالة عرفية وهي أن من له كلام لفظي له كلام نفسي ويحفظ باللفظ المخيـل ويكتب بنقوش وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه كما يقال العسل جوهر لزج فيه شفاء للناس يكتب بالقلم ويذكر باللفظ ويحفظ في القـلوب ولا

يلزم من ذلك كون حقيقة العسل صوتا وحرفا وبيان ذلك أن للشيء وجودات وجودا في الاعيان أي الخارج عن الذهن ووجودا في الاذهان ووجودا في العبارة ووجودا في الكتابة والكتابة تدل على العبارة والعبارة تدل على مافي الذهن وما في الذهن يدل على مافي الاعيان اذا تحقق لديك هذا فالقرآن له اطلاقان أي يطلق على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى وعلى النظم المعجز كما أن كلام الله تعالى له اطلاقان أيضا قيل كل من الاطلاقات حقيقة وعليه فهما من المشترك اللفظي وقيل القرآن حقيقة في النظم المعجز مجاز في الصفة القديمة والكلام بالعكس ولذا قال بعضهم اذا أريد بالقرآن الصفة أتبع بكلام الله بان يقال القرآن كلام الله قديم مثلا لان الشيء اذا أطلق انصرف لحقيقته وعليه فالمؤاخذة على المصنف حيث أطلق وقيل الكلام حقيقة فيهما وهو التحقيق فهو مشترك بين النفسي القديم و بين اللفظي الا أن الاضافة في اللفظي اضافة مخلوق الى خالقه والاضافة في النفسي اضافة الصفة للموصوف وحيث ذكر القرآن أو الكلام ووصف بما هو من لوازم القديم كقولنا القرآن أو كلام الله غير مخلوق أو غير حادث أو قديم فالمراد به الكلام النفسي الازلي وحيث وصف بما هو من لوازم الحوادث فالمراد به الالفاظ المنطوقة المسموعة كما في قولنا قرأنا ربع القرآن أو بتنا نقرأ كلام الله أو المخيلة كما في قولنا حفظ زيد القرآن أو كلام الله أو الأشكال المنقوشة كما في قولنا لايجوز للمحدث أن يمس القرآن أو كلام الله فان أراد المصنف بالقرآن الصفة

القائمة به تعالى تعين التأويل في قوله مقروء الخ أي مقروء مكتوب محفوظ داله دلالة عرفية كما تقدم وأما دلالته المطابقية فيدل على بعض ما تدل عليه الصفة القديمة وان أراد بالقرآن المنزل تعين التأويل في قوله قديم الخ أي قديم باعتبار مدلوله العرفي من اطلاق ما للمدلول على الدال وفي التأويل الاول بالعكس وهو اطلاق ما للدال على المدلول والقرينة في كل الاستحالة وقولهم القراءة حادثة والمقروء قديم لايخلو من تساهل لان القراءة والمقروء حكمهما واحد والصفة القديمة لاتوصف بقراءة ولا بمقروء فهي صفة ربنا كنهها كالذات وبقية الصفات مجهول لنا معلوم لربنا (لايقبل) كلامه القائم بذاته (الانفصال) عن ذاته تعالى (و) لايقبل كلامه القائم بذاته تعالى (الافتراق) أي التجزي في نفسه ولا الانفصال عن الذات ضرورة أنه معنى قديم وهو لايقبل الانفصال والافتراق (بالانتقال) أي بانتقال داله العرفي وهو الكلام المخلوق (الى القلوب والاوراق) أي والالسنة (وان موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف) أي وأن موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله المنزه عما يتصف به كلام الحوادث حقيقة لاتجوز في ذاك كما تقدم خلافا لمن قال بغير هذا وجاز لموسى عليه السلام سماع كلام الله القديم ووقع لجواز رؤية الابرار ذات الله تعالى الخ ووقوعها بحسب ما دلت عليه الادلة النقلية وجوزته الادلة العقلية فالكاف للتعليل وما مصدرية في قوله (كما يرى الابرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر) هو ماقام بنفسه (ولا عرض)

هو ماقام بالغير تقدم شرحه و بالجملة يراه سبحانه الابرار يوم القيامة وفي الجنة بلا كيف ولا انحصار (واذا كانت له هذه الصفات) أي واذا وجدت وثبتت له هـذه الصفات بالكتاب المنزل على أصدق مخلوق في نحو قوله تعالى هو الحي والله على كل شيء قدير الفعال لما يريد والله بكل شيء عليم وهو السميع البصير وكلم الله موسى تكليما (١) المسميات بالصفات المعنوية وثبوت معناها لله تعالى أمر متفق عليه بيننا و بين المعتزلة ومن في حكمهم ولكن جهة الثبوت مختلف فيها فنحن نقول ثبوتها لله تعالى فرع عن ثبوت مامنه اشتقاقها له تعالى فلا يوصف بعالم مثلا الا بعد ثبوت العلم له تعالى وهم يقولون عالم بذاته لا بعلم زائد عن الذات فرارا من كثرة القدماء فهم أرادوا التنزيه لكن لم يوفقوا اليه فقالوا ما قالوا أنظر المطولات تستفيد زيادة ايضاح وجواب اذا قوله (كان حيا) بالحياة لا بمجرد الذات و (عالما) بالعلم لا بمجرد الذات و (قادرا) بالقدرة لا بمجرد الذات و (مريدا) بالارادة لا بمجرد الذات و (سميعا) بالسمع لا بمجرد الذات و (بصيرا) بالبصر لا بمجرد الذات و (متكلما) بالكلام لا بمجرد الذات فقوله (بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات) مرتبط بقوله حيا وما بعده على نسق ما رأيت وقولهم حي بذاته الخ يلزم عليه مفاسد أنظر بيانها في المطولات ﴿ فائدة ﴾ نذكر فيها بعض ما يتعلق بالصفات اعلم وفقني الله واياك للعمل الصالح أن

(١ قوله المسميات الخ) أي الحي وما بعده

صفاته تعالى متحدة لاتعدد فيها وعلى ذلك أدلة تذكر في المطولات وانما التعدد في متعلق بعضها وهو ما عدا الحياة فهــو سبحانه وتعالى حي بحياة واحدة وقادر بقدرة واحدة ومريد بارادة واحدة وعالم بعلم واحد وسميع بسمع واحد وبصير ببصر واحد ومتكلم بكلام واحد وانمــا التعدد في المقدورات والمرادات والمعلومات والمسموعات والمبصرات ومدلولات الـكلام وانها باعتبار التعلق وغيره تنقسم الى قسمين قسم لايتعلق بشيء وهو الحيــاة وقسم يتعلق وهو ما عداها ولـكن كيفية التعلق مختلفة أما القدرة فتتعلق بكل ممكن على طريق الايجاد أو الاعدام وأما الارادة فتتعلق بكل ممكن أيضا لـكن من حيث التخصيص ببعض ما يجوز عليه من الامور المتقابلات وأماالعلم فيتعلق بالواجب والمستحيل والجائز على طريق الاحاطة وأما السمع والبصر فيتعلقان بكل موجود على طريق الاحاطة أيضا وأما الـكلام فيتعلق بما يتعلق به العلم الا أن تعلقه تعلق دلالة وحقيقة التعلق عندهم هو اقتضاء الصفة أمرا زائدا على الذات فالعلم مثلا يقتضي معلوما زيادة على تعلقه بالذات والنسب بينها ظاهرة (الافعال) ولما فرغ من الـكلام على صفات الذات شرع في الـكلام على صفات الافعال من حيث اثباتها له وانفراده بها فلا فاعل لفعل سواه أي على طريق الايجاد والاختراع فقال (وأنه سبحانه وتعالى لاموجود سواه) وسوى صفاته العلية (الا وهو حادث) موجود بعد عدم (بفعله) وهو ايجاده اياه بعد أن لم يكن (وفائض) ناشئ (من عدله) أي انشأه بفضله

واحسانه و باختياره لا بوجوب أو ايجاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفائض منه (على أحسن الوجوه وأ كملها وأتمها وأعدلها) كل من أحسن وما بعده بمعنى أي أن ماسواه وصفاته سبحانه فعل له متقن على أحسن الوجوه الخ فعل حكيم خبير عليم قدير قال تعالى صنع الله الذى أتقن كل شئ وقال تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقال تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وقال تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وقال تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى سطحت والمشاهدة أقوى دليل لمن بصره الله تعالى (وأنه حكيم في أفعاله) أي متقن لافعاله يضع كل شئ في محله لازم لما قبله (عادل في أقضيته) أي عادل فيما قضاه وقدره لعباده وعليهم مثلا اذا قضى وقدر لزيد بالعافية وأنواع ما يترفه به الانسان وقضى وقدر على عمرو بعكس ذلك فلا يتوهم في حقه تعالى انه أعطى لزيد أكثر مما يستحقه ومنع عمرا مما يستحقه لان كلا منهما لا يستحق بالذات شيئاً وانما تفضل على زيد ومنع عمرا من فضله لا من شئ يستحقه عند ربه يختص برحمته من يشاء (لا يقاس عدله) في أقضيته بين عباده (بعدل العباد) فيما بينهم (اذ العبد) من حيث هو بقطع النظر عن العصمة (يتصور منه الظلم) وهو وضع الشئ في غير محله أي يجوز على العبد من حيث هو الظلم بقطع النظر عن العصمة واذا لاحظنا العصمة استحال الظلم على المعصوم ويتصور منه

الظلم (ب)سبب (تصرفه في ملك غيره) والحاصل أن أصل الظلم هو وضع الشيء في غير محله ومن تصرف في ملك الغير فقد وضع تصرفه في غير محله ومحله أن يتصرف في ملكه وكل من تصرف في ملكه بأي نوع من أنواع التصرف لاينسب اليه الظلم لعدم تصور حقيقته فيه (و) على هذا (لايتصور الظلم من الله تعالى) أي لا يصدق العقل الكامل بحصول الظلم وهو التصرف في ملك الغير من الله تعالى وعلل عدم تصور الظلم من الله تعالى بقوله (فانه لا يصادف) أي لايجد (لغيره ملكا) معه على الحقيقة (حتى يكون تصرفه فيه) أي في ملك الغير (ظلما) اذا تحقق لديك هذا (فكل ماسواه من انس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان) غير ناطق (ونبات وجماد) هما ما قابل الحيوان (وجوهر) هو ما قام بنفسه (وعرض) هو ما قام بالغير (١) وعطف الجوهر والعرض على ما قبلهما من عطف المرادف وقوله (ومدرك) بغير الحواس كالعقل (ومحسوس) أي باحدى الحواس الخمس عين ما قبله وكل ما تقدم ذكره (حادث) موجود بعد عدم (اخترعه) أي أوجده على غير مثال سبق (ب)سبب تعلق (قدرته) التعلق التنجيزي الحادث (بعد العدم) ظرف لقوله اخترعه (اختراعا) مفعول مطلق (وأنشأه) بمعنى اخترعه (انشاء) مفعول مطلق (بعد أن لم يكن شيئاً) مذكورا بل كان عدما محضا بدليل

(١ قوله وعطف الجوهر الخ) لعله غلب الجوهر على العرض والا فالعرض لايرادف ماقبله

قوله تعالى الله خالق كل شئ وغير ذلك من الآيات والاحاديث ومن المعلوم ضرورة أن الصانع متقدم على صنعته والمؤثر على أثره فلهذا قال (اذ كان في الازل موجودا) بدون ابتداء (وحده) متصفا بصفاته الجليلة ومنزها عن النقائص وقوله (ولم يكن معه غيره) عين ما قبله أتى به لزيادة التوضيح المبتدئ وحيث كان كنزا مخفيا فاحب أن يعرف و يظهر فضله وعدله على الغير (فاحدث الخلق بعد ذلك) أي أوجدهم عن عدم محض بعد أن لم يكونوا شيئاً أو بعد أن كان وحده وهو الاقرب أوجد الخلق بعد عدمهم (اظهارا)متعلق(قدرته) الصلوحي القديم (وتحقيقا لما سبق من) تعلق (ارادته) التنجيزي القديم (و) ابرازا (لماحق) أي ثبت (في الازل من)تعلق (كلمته) أي علمه التعلق التنجيزي القديم أوجد الخلق لحكمة ماتقدم من تعلق علمه وارادته وقدرته ولاظهار فضله وعدله عليهم كما تقدم (لا) انه أوجد الخلق (لافتقاره اليه) تعالى عن ذلك علواً كبيرا لانه الغني المطلق أولا وآخرا كيف يفتقر من هو غني في أزله الى من وصفه الافتقار قال الله تعالى ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وقال أيضا(١)وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون الآية واذا انتفى الاحتياج عنه تعالى

(١ قوله وما خلقت الجن الخ) وقال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا فدلت الآيات على أن جميع ماعداه مفتقر اليه واذا ثبت لها الافتقار ثبت له جل وعلا الغنى المطلق وفي

الى مايتوهم الاحتياج اليه فنفيه عن غيره أولوى (وحاجته) عطف مرادف و بعد أن بين أنه أوجد الخلق لحكمة لا لافتقار أراد أن يبين أن هذه الحكمة واجبة عليه أم لا فارشد الى أنها ليست بواجبة عليه بقوله (وأنه متفضل بالخلق والاختراع) أما تفضله بالخلق والاختراع فظاهر لانه أول نعمة على الخلق كما تقدم (و) أما تفضله ب(التكليف) فظاهر أيضا لان ثمرة التكليف أعنى الامتثال أو الاباء لهم أوعليهم فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية فاختراعه وتكليفه عن فضل واختيار (لا) واقعين (عن وجوب) أي ولا عن ايجاب خلافا لمن ضل في ذلك فمنهم من أوجب عليه ذلك بناء على قاعدته الفاسدة من مراعاة الصلاح والاصلح ومنهم من نفى الاختيار وقال بالايجاب وهؤلاء كفار قطعا وقوله (ومتطول) أي ممتن ومتفضل (بالانعام) أى

الحديث القدسي يابنى آدم ماخلقتكم لاستكثر بكم من قلة ولا لاستأنس بكم من وحشة ولا لاستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه ولا لجر منفعة ولا لدفع مضرة بل خلقتكم لتعبدوني طويلا وتشكروني كثيرا وتسبحوني بكرة وأصيلا ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم وحيكم وميتكم وصغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم اجتمعوا على طاعتي مازاد ذلك في ملكي مثقال ذرة ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم وحيكم وميتكم وصغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم اجتمعوا على معصيتي مانقص ذلك من ملكي مثقال ذرة ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين وهم الفقراء اليه وهو الغنى الحميد يابن آدم كما تدين تدان وكما تزرع تحصد

بافعاله مع خلقه كالخلق والرزق والاحياء وغير ذلك (و) منها (الاصلاح) وصدر منه ما ذكر عن فضل واحسان (لا عن لزوم) عين ما تقدم في المعنى واذا فعل ذلك مع خلقه على الوصف المتقدم (فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان) عليهم أى يجب عليهم أن يعترفوا بذلك وأن يحمدوه و يشكروه على صنعه الجميل معهم وعلل ما تقدم من ثبوت الفضل وما بعده له تعالى على خلقه بقوله (اذ) أى لانه (كان) ولا يزال (قادرا على أن يصب) ينزل (على عباده أنواع العذاب ويبتليهم) يختبرهم (بضروب) صنوف (الآلام) الاوجاع (والاوصاب) الامراض التي لا تطاق ولم يفعل رفقا ولطفا بهم (ولو فعل ذلك) أى ما تقدم من أنواع العذاب وضروب الآلام والاوصاب (لكان) فعله ذلك يعد (منه عدلا) لكونه وضعه في محله ويكون منه ذلك جميلا وعدلا (ولم يكن منه قبيحا) لان الفعل الصادر منه تعالى لا يوصف بذلك بل افعاله كلها جميلة (ولا ظلما) لكونه لم يضعه في غير محله بل سبحانه وتعالى تصرف في ملكه بما شاء وأراد وتصرفه فى ملكه لا يعد قبيحا ولا ظلما ﴿ تنبيه ﴾ اعلم رحمنى الله واياك والمسلمين برحمته التي وسعت كل شيء أن افعال العباد وقع فيها اضطراب كثير بين العقلاء فمنهم من أثبت لهم الفعل الاختيارى على طريق الكسب أى الميل والقصد الى فعل المكتسب دون غيره وتركه والعكس بناء على أن الترك فعل أى القصد والميل الى ترك الشيء دون فعله وهذا الميل والقصد هو الذى به التكليف وهو الذى يترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب

وغير ذلك ومنهم من نفى عنهم الاختيار بالمرة وقال حركاتهم كحركة الاشجار مثلا ويلزم على هـذا المذهب عدم التكاليف والمدح والذم الخ وهو مذهب باطل باجماع المسلمين ومنهم من أثبت لهم الاختيار على طريق الخلق لكن قالوا لايكون ذلك منهم استقلالا بل بقدرة أودعها الله فيهم وهذا المذهب باطل أيضا لوجود نسبة الخلق والايجاد الى غـير الله تعالى ومقتضى ذلك أنهم كافرون و بكفرهم حكم علماء ماوراء النهر حيث قالوا ان المجوس أسعد حالا منهم حيث لم يثبتوا الا شريكا واحـدا وهؤلاء أثبتوا شركاء لاتحصى والتحقيق أنهم فسقة لاغير حيث لم يجعلوا العبـد مستقلا بالخالقية وأهل المـذهب الثاني كفار بالاتفاق وأهل المذهب الاول هم المؤمنون العدول وللمعتزلة في هـذا المقام أدلة لهاقوة ظاهرا ولكن اذا جاءها المعيار الصحيح تلاشت انظر المطولات وعلى المـذهب الاول يتنزل ماقاله المصنف بقوله (وانه عز وجـل) أي تنزه عما لايليق بجلاله واتصف بما يليق بكماله (يثيب عباده المؤمنـين) أي ينيلهم قدرا من الجزاء (على الطاعات) أي الامتثالات للاوامر والاجتنابات للنواهي (بحكم الكرم والوعد) لذى لايتخلف (لابحكم) أي طريق (الاستحقاق واللزوم له) تعالى عن ذلك علوا كبيرا (اذ لايجب عليه لاحد فعل) في نظير عمل أولا اذ العامل والمعمول فعلان له تعالى ولا يستحق أحد أجرا وثناء على فعل غيره بل ان شاء أعطى بفضله لمن شاء وان شاء منع بعـد له من شاء وهذا كله بالنظر للدليل العقلي ولقوله تعالى لايسئل

عما يفعل وهم يسئلون وبهما يرد على من خالف أهل السنة وأما بالنظر للادلة الشرعية الواردة مورد الوعد فيستحق فاعل الطاعات الثواب والثناء على ذلك لكن بحكم الكرم والوعد كما قال رحمه الله تعالى (ولا يتصور منه ظلم) لعدم وجود مايقع فيه الظلم من وجود ملك لغيره (ولا يجب لأحد عليه حق) أى لان غيره تعالى لا حق له عند ربه والوجوب فرع الثبوت فينتفي الوجوب لانتفاء الثبوت ولم يبق الا التفضل والاحسان منه تعالى ولما نفى وجوب الحق عليه لغيره بين أن حقه تعالى واجب على غيره بطريق الشرع لا بطريق العقل بقوله (وأن حقه في) فعل (الطاعات) بأمرها سواء كانت أصلية كمعرفة مايجب لله تعالى تفصيلا واجمالا وما يستحيل عليه كذلك وما يجوز في حقه تعالى وما يجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز فوجوب معرفة ذلك انما جاءنا من طريق الشرع والعقل لادخل له في ايجاب وضده فقبل مجيء الشرع لايوصف الشخص بكونه مطيعا أو عاصيا ولو عبد الاوثان وقطع السبل وأخاف الخلق وغير ذلك ولهذا قال أئمتنا أهل الفترة ناجون وان بدلوا وغيروا وعبدوا الاوثان(١) ودليلهم قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وعليه فيجب على كل مكلف شرعا أن يعرف مايجب في حق

(١ قوله ودليلهم الخ) في الابريز عن شيخه سيدى عبدالعزيز قال وسألته عن قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ماالمراد بالتعذيب المنفى هل في الدنيا أو في الآخرة وهل بلوغ الدعوة شرط

مولانا تفصيلا فيما يجب معرفته تفصيلا وهي الواجبات الآتي ذكرها

فيهما كما تقتضيه الآية أو ليس بشرط كما دلت عليه أحاديث الممتحن ومن في معناه ممن لا يفهم الخطاب فانه يمتحن يوم القيامة بنار يؤمر بدخولها فان أطاع دخل الجنة وان عصى دخل النار فقال بلوغ الدعوة شرط في عذاب الدنيا بنحو الخسف والرجم وأخذ الصيحة وغير ذلك مما عذبت به عصاة الامم السابقة فالبعثة شرط في عذاب الدنيا لا الآخرة فلا يتوقف عليها والا لما دخل أحد من يأجوج ومأجوج النار مع انهم أكثر أهلها وحديث انه بلغهم الدعوة ليلة الاسراء وأبوا عن الايمان موضوع اه ببعض تصرف للاختصار وبنحو هذا قال جماعة من المفسرين وان المراد وما كنا معذبين في الدنيا عذاب استئصال كما وقع لقوم نوح وعلى هذا لا يسأل عمن ورد الحديث بدخوله النار كعنترة وعمرو بن لحي وحاتم وامرئ القيس لمجيئهم على الاصل وانما يسأل عمن ورد الحديث بدخوله الجنة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل الذي ورد الحديث في كل منهما انه يبعث أمة وحده فيقال لانه وحد الله تعالى بل قال في الابريز ان جنة الفردوس خاصة بهذه الامة ولمن وحد الله بالهداية من غير بعثة نبي عناية من الله بهم كما خصهم بالتوفيق للايمان من بين قومهم الكفار خصهم باعز مقام في دار القرار اه ونقل الشعراني أيضا عن ابن العربي ان السعادة الاخروية مدارها على التوحيد لا الايمان الا في حق من بعث اليه رسول أو ادرك شرعه من غير تبديل اه من الجواهر وهذا يؤيد القول بان التكليف بأصول الدين يكفي فيه العقل ولا يتوقف على الشرع وان كان المشهور لا تكليف بشيء مطلقا قبل البعثة

واجمالا فيما يجب معرفته اجمالا ككل كمال واجب لله وما يستحيل في حقه تعالى تفصيلا في التفصيلي وهي الامور الآتي ذكرها واجمالا في الاجمالي ككل نقص مستحيل عليه تعالى وما يجوز في حقه تعالى وهو فعل كل ممكن أو تركه وما يجب في حق الرسل وما يستحيل وما يجوز على حسب مايأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولا فرق في المكلف بين أن يكون ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا عربيا أو أعجميا حضريا أو بدويا وعرفوا العلم المرادف للمعرفة بأنه الجزم المطابق للواقع عن دليل فمن علم مايأتي فلا خلاف في ايمانه ومن اتصف بغير الجزم بأن ظن أو شك أو توهم في شئ مما يأتي فلا خلاف في كفره ومن جزم جزما غير مطابق للواقع كجزم بعض النصارى بالتثليث فلا خلاف في كفره أيضا ومن جزم جزما مطابقا للواقع بما يجب له تعالى تفصيلا الخ لا عن دليل بل جزمهم ناشئ عن تقليد ففيهم خلاف والراجح ايمانهم ويبقى الكلام في اثمهم وعدمه والراجح اثمهم ان كان فيهم أهلية للنظر وتركوا وإلا فلا أو فرعية كوجوب أداء الصلاة والزكاة وترك الخيانة والربا وشرب الخمر (وجب) أي حقه (على الخلق) ووجوب أداء حقه على الخلق في الواجبات بالامتثال ووجوب أداء حقه على خلقه في المنهيات بالترك أي بتركها (ب)سبب (ايجابه) أي تكليفهم اياه أي الزامهم مافيه كلفة ومشقة على النفس أو طلبه منهم مافيه كلفة وهذا الايجاب جاءهم (على ألسنة أنبيائه) أي رسله (عليهم السلام) اللائق بمقامهم (لا) أن حقه في الطاعات وجب على الخلق (بمجرد

العقل) اذ العقل المجرد عن ارشادات الشرع لايهتدى لما فيه الثواب ولا ينزجر عما فيه العقاب ولا يميز بين الحسن والقبيح (ولكنه) استدراك صورى اتى به لتوضيح ما تقدم (بعث) أرسل (الرسل) عليهم الصلاة والسلام جمع رسول وهو انسان ذكر بالغ حر اصيل النسب اوحي اليه بشرع يعمل به ويبلغ منه للخلق ماأمر بتبليغه (وأظهر صدقهم) فيما ادعوه من الرسالة وفيما يبلغونه من الاحكام (ب)سبب (المعجزات الظاهرة) أى الواضحة التي لا يمتار فيها منصف كناقة سيدنا صالح ونار سيدنا ابراهيم وعصاويد سيدنا موسى واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لسيدنا عيسى والقرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من اليد الشريفة وتكثير القليل وتسبيح الحصا لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وتأويل نحو ماتقدم بالسحر ونحوه مكابرة وعناد فلا يلتفت الى قائل ذلك وتعريف المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى أى الواقع من مدعي الرسالة فالو قع قبل الرسالة يقال له ارهاص والحاصل أن الامر الخارق للعادة قسموه الى ستة أقسام أولها الارهاص وهو الظاهر على يد من سيدعي الرسالة تأسيسا وتعزيزا له وثانيها المعجزة وهي الظاهرة على يد مدعي الرسالة ومناسبة اسمها لمسماها ظاهرة لعجز من عارضه وثالثها الكرامة وهى الظاهرة على يد معروف بالصلاح والفرق بينها و بين المعجزة جلى لايرتاب فيه الادجال مصر ومن نحا نحوه ومن خساسة عقله وسخافة رأيه ادعاؤه الاستعارة بالكناية في كرامة مريم عليها السلام والرابع

المعونة وهي الظاهرة على يد أحـد العوام تخليصا له من شدة وقع فيها وخامسها الاستدراج وهو الواقع من الفسقة موافقا لغرضهم مكراً بهم وخديعة لهم واهانة لهم ولمن اعتقدهم في الواقع وسادسها الاهانة وهي الواقعة من يد فاسق على خلاف غرضه كالتفل في العين المصابة فعميت الصحيحة و بعضهم يزيد على الستة السحر والا بتلاء والراجح خلاف ذلك ولنوضح لك ما تقدم بمثال لتقيس عليـه ماشابهه وهو أن دخول بيت النار وشرب السم الناقع والضرب بالصارم الهندي مع تخلف مقتضياتها بحسب العادة ان ظهر على يد من سيدعي الرسالة فارهاص وان ظهر على من ادعاها فمعجزة وان ظهر على يد معروف بالصلاح فكرامة وان ظهر على يد أحد العوام تخليصا له مما وقع فيه فمعونة وان ظهر على يد فاسق موافقا لغرضه فاستدراج وان ظهر على يد فاسق على خلاف غرضه وعادته بأن كانت عادته استعمال ذلك ثم تخلفت بأن أحرقته النار أو فتت كبده السم أو قسمه الصارم الهندي فاهانة و بعد هذا البيان لا تغتر بقول أحد أو فعله ولو كان يشار اليه بالعلم فان قيل انهم نصوا على ان كرامة الولي معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وعليه فيكون ماصدر من الفسقة المنتسبين لبعض أكابر المشايخ كرامة لهؤلاء المشايخ ويكون مايقع منهم بتلقي المشايخ عنهم ولولا مشايخهم مافعلوا ذلك وعلى تسليم هذا فالفعل لمشايخهم لا لهم وهو من الكرامة لا الاستدراج قلت بهذا قال بعض من لقيناه ممن ينتسب للعلم وهو وهم ناشئ من عدم التصور والتصوير أي التطبيق أما الاول فلعـدم

تميز ماهية الكرامة عنده من غيرها وأما الثاني فلعدم تطبيق الجزئيات على كلياتها تطبيقا يوافق ما عليه الجماعة وذلك أن الصادر من الفاسق هو فعله وينسب اليه بطريق الكسب لافعل شيخه المنتسب اليه كذبا والذي قاله الجماعة أن الامر الخارق للعادة اذا صدر من فاسق فان وافق غرضه فاستدراج والا فاهانة كما تقدم ودعوى أن المشايخ هم الذين يتلقون تلك الافعال دعوى باطلة لادليل عليها وقول القائل لولا المشايخ مافعلوا ذلك كذب محض وافتراء وزور اذ المستدرج يفعل أكثر من ذلك كالطيران في الهواء والمشي علي الماء وقوله وعلي تسليم هذا فالفعل لمشايخهم لالهم علمت سقوطه وأيضا لو كان مشايخهم المنسوبون لهم كذبا يحضرون معهم محاضر السوء لكان فيه اعانة لهم على باطل فعلهم وسوء تدبيرهم وذلك لايناسب مقام المشايخ رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم لان المعين على الباطل مبطل والمعين على الكذب بنحو تزكية كذاب وأما كون كرامة الولي معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فمسلم لان كرامته مقتبسة منه صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على فطن ضعف صاحب هذا القيل فان قيل انه لايصدر منهم أمر من الامور الا بعد حصول الوجد منهم وذلك من الله تعالى فمن أين يأتي الاستدراج قلت هذا القيل باطل من وجهين الوجه الاول ان بعض الامور تحصل منهم من غير وجد كما عايناه منهم والوجه الثاني ان قصر الوجد على الله كذب اذ الوجد وجدان رحماني وهو ماتحسن حالة صاحبه بعده وهو ممدوح وشيطاني وهو مايستمر صاحبه

على حاله الاولى أو يزداد خبثه فن قبل هلا فعلت مثل مافعلوا قلت الحمد لله الذي عافاني مما به ابتلوا و يأتي ان شاء الله تعالى آخر الكتاب مايتعلق بالصالحين عند قوله وعلي كل عبد مصطفى (فبلغوا) عليهم الصلاة والسلام وجوبا للخلق (أمره) أي ماأمر به (ونهيه) أي مانهى عنه (ووعده) أي ماوعد به (ووعيده) أي ماتوعد به واذا ثبت تصديقهم بالمعجزات الظاهرة و بلغوا الخ (فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به) أي فيما أخبروا به عن الله تعالى من توحيد وغيره وكذا فيما أخبروا به من الامور العاديات فلا يجوزعليهم الكذب بوجه من الوجوه لتصديق الله تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله صدق هذا العبد في كل خبر فمن صدق فقد نجا ومن كذب فقد هوى * ولما أنهى الكلام على الالهيات شرع في الكلام على النبويات فقال مترجما على ذلك بقوله (معنى الكلمة الثانية وهي الشهادة المرسل بالرسالة) أي هذا بيان معنى الكلمة الثانية أي بيان مااستلزمه معنى الكلمة الثانية وهي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أن في كلامه رحمه الله تعالى حذفا والتقدير والله أعلم هذا معنى الكلمة الاولى وأما معنى الكلمة الثانية الخ (وأنه بعث) أي ارسل (النبي الامي) أي الذي لايقرأ ولا يكتب نسبة الى الام أو نسبة الى أم القرى (القرشي) نسبة الى قريش أحد أجداده صلى الله عليه وسلم الذين تجب معرفتهم (محمدا صلى الله عليه وسلم) (١) بدل من النبي

(١ قوله بدل) أو عطف بيان

وهو أشرف اسمائه صلى الله عليه وسلم (برسالته) وهي تكاليفه التي كلف بها عباده (الى كافة العرب والعجم) هم ما عدا العرب ولو اختلفت لغاتهم (والجن والانس) الانس أولاد آدم عليه السلام والجن أولاد ابليس على قول وهم مكلفون بلا خلاف أعلمه وفي الملائكة خلاف (١) في غير التوحيد وقيل انه مرسل الى جميع الخلق حتى الجمادات ارسال تشريف وكل تشرف به عليه الصلاة والسلام (فنسخ بشريعته) المشرفة على جميع الشرائع (الشرائع) أي جميع الشرائع المتقدمة على شريعته وموضوع النسخ فروعها وأما أصلها وهو التوحيد فلا نسخ فيه لانه متحد في الكل بدليل قوله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الآية ونسخ بشريعته فروع الشرائع (الا ما قرره منها) أي الا الذي قرره وابقاه منها أي من الشرائع فلا نسخ فيه وهل يعتبر من الشرائع المتقدمة خلاف فمذهبنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ ومذهب غيرنا شرع من قبلنا ليس شرعا لنا (٢) وان لم يرد ناسخ ووقع النسخ في شريعته أيضا في حياته وانواعه أربعة والنسخ رفع حكم شرعي بعد تقرره باحد الانواع الاربعة (وفضله على سائر الانبياء) أي وفضله بتفضيل الهي وقيل

(١ قوله في غير التوحيد) أما هو فمحل اتفاق وانما وقع الخلاف لان طاعتهم جبلية فالارسال اليهم لم يترتب عليه كبير فائدة والقائل به يقول لتشريفهم به

(٢ قوله وان لم يرد ناسخ) ولو ورد في شرعنا ما يقرره

بمزايا تخصه على باقي الانبياء (و جعله سيد البشر) أي جعله سيد آدم عليه السلام وذريته لقوله عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وفي ولد آدم من هو أفضل من آدم فتفضيله على آدم أحرى (ومنع كمال الايمان) أى تمام الايمان أي تحقق ماهيته (١) بسبب (شهادة التوحيد) أي الشهادة الدالة على التوحيــد أي منع تحقق ما هية الايمان بسبب النطق بما يدل على وحدانية الله تعالى أو بسبب اعتقاد وحدانيته (١) ولو لم يحصل نطق على الراجح عندنا (وهو) أى التوحيد أو شهادة التوحيد وذكر الضمير على معنى الاعتراف (قول لا اله الا الله) أي النطق بها مع اعتقاد مدلولها او اعتقاد مدلولها (٢) وان لم يحصل نطق ومعنى لا اله الا الله لا معبود بحق الا الله ويلزم هذا المعنى استغناؤه عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه اليه تعالى ويدخل تحت هــذا اللازم جميع ما يجب له تعالى تفصيلا وما يستحيل عليه كذلك وما يجوز في حقه تعالى دخولا واضحا فلذا جعله الامام السنوسي معنى لا اله الا الله لا لانه يجهل معنى لا اله الا الله المطابقى خلافا لمن جهل الشيخ ويأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى (مالم تقترن بها شهادة الرسول) أي مدة عدم اقتران شهادة التوحيد بشهادة الرسول أي ما يدل على

(١ قوله ولو لم يحصل الخ) وهذا حيث كان مؤمنا اصليا ولم يمتنع من النطق باختياره

(٢ قوله وان لم الخ) اى على ما تقــدم من كونه مؤمنا اصليا الخ

ثبوت الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (١) اعتقادا لا غير كان أو قولا مع اعتقاد أي اذعان على ما تقدم في شهادة التوحيد (وهو) أي شهادة الرسول وذكر باعتبار الخبر (قولك محمد رسول الله) أو اذعانك بذلك ولو لم يحصل نطق بان اخترمتك المنية مثلا والحاصل أن الله تعالى منع قبول الايمان بسبب الاقرار بما يدل على التوحيد أو بسبب اعتقاده مدة عدم اقتران ما يدل على التوحيد بما يدل على ثبوت الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الايمان الشرعي مركب من اذعانين أولهما الاذعان بوحدانية الله تعالى والثاني الاذعان بثبوت الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وجد أحد الاذعانين دون الآخر انعدمت ماهية الايمان ضرورة انعدام الكل لانعدام جزئه المتوقف عليه قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين والايمان والاسلام الكاملان ماصدقهما واحد وان اختلفا في المفهوم فلا ينفع اليهود وغيرهم الاقرار بوحدانية الله تعالى دون الاقرار بثبوت الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة) وكلف جميع الخلق الموجودين في زمن بعثته ومن يوجد بعدهم الى يوم القيامة الذين بلغتهم دعوته وتحققت فيهم بقية شروط التكليف بتصديقه مع الاذعان والتسليم في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة لكونه صادقا لا يخبر الا عن الله تعالى دليل صدقه عليه

(١ قوله اعتقادا) خبر كان مقدم واسمها يعود على ما يدل

الصلاة والسلام اظهار المعجزات على يديه وقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وعموم بعثته دليل على الزام جميع الخلق لما ذكر وبتصديقه بما ذكر يؤخذ ما يجب له ولاخوانه المرسلين وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾ (١) يجب على المكلف أن يعرف خمسة وعشرين من الرسل وهم آدم وهود وصالح ونوح وادريس وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكرياء ويحيى وذو الكفل واليسع والياس ويونس وشعيب وأيوب وعيسى ومحمد صلى الله تعالى عليهم وسلم وما عدا هؤلاء يصدق به اجمالا وأن يعرف من الملائكة جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل ومالكا ورضوان ومنكرا ونكيرا ورقيبا وعتيدا وبشيرا ومبشرا على القول بهما وأن يعرف أجداد النبي صلى الله عليه وسلم واباه وهو عليه الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر (٢) وهو قريش الذي تنسب اليه قريش بن مالك بن النضر

(١ قوله يجب على المكلف الخ) أى انه لو عرض على المكلف واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته وكذا القول فى وجوب معرفة الملائكة وأجداده وأولاده لا انه يحفظ اسماءهم اذ لا يلزم

(٢ قوله وهو قريش) هو اسم لدابة في البحر سمى باسمها لما قاله الشمرخ بن عمرو الحميري

ابن كنانة بن خزيمــة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وأن يعرف أولاده وهم القاسم وعبد الله وابراهيم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء ٭ ولما فرغ من الـكلام على النبويات شرع في الـكلام على السمعيات بقوله (وأنه لايتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت) أي وأن الله تعالى لايتقبل ايمان عبد أي تصديق عبد حتى يصدق بالذي أخبر النبي بوقوعه بعد الموت لانه من اجزاء ماهيــة الايمان التي تنعدم بانعدامه ولانه لادليل عليه الا من جهته عليه الصلاة والسلام فمن جحد شيئاً من ذلك أو ظن فيه أو شك أو توهم فيه (١) فلا يتصف بالايمان والعياذ بالله تعالى هــذا والمصنف رحمه الله تعالى ذكر بعض مايجب الايمان به بعد الموت وترك مايجب الايمان به قبل الموت وسأذكر لك ان شاء الله تعالى ماتركه (وأوله) أي أولماينزل بالميت بعد موته ومفارقته أهله وماله مما اخبر به عليه السلام (سؤال منكر ونكير) لجميع الخلق

وقريش هي التي تسكن البحـ ٭ ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ٭ ـرك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ٭ يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي ٭ يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيله ورجال ٭ يحشرون المطى حشرا كشيشا
والاكل الـكميش السريع والخموش الخدوش

(١ قوله فلايتصف بالايمان) لكن نص غير واحد ان منكر سؤال منكر ونكير لا يكفر لوقوع الخلاف في أصل السؤال

وقال ابن عبد البر لا يسئل الكافر وانما يسئل المؤمن والمنافق لانتسابه للاسلام في الظاهر وقال السيد أبو شجاع ان للصبيان سؤالا وكذا الانبياء عند البعض اه والراجح خلاف ذلك واختلفوا (١) في مدة السؤال فقيل يسئل الميت كيفما كان مرة واحدة وفي حديث اسماء يسئل ثلاثا وعن الجلال ان المؤمن يسئل سبعة أيام والكافر أربعين صباحا وسكت عن المنافق وحكمه كحكم الكافر (وهما) أي منكر ونكير عليهما السلام (شخصان) الشخص سواد الانسان أو غيره تراه من بعد ثم استعمل في ذاته قال الخطابي ولا يسمى شخصا الا جسم مؤلف له شخوص وارتفاع (مهيبان) أي مخيفان لمن رآهما لما اعطاهما الله تعالى من الجلال والمهابة (هائلان) أي مفزعان لمن رآهما لعظم ما أولاهما الله من الخلقة والاوصاف قال اللقاني رحمه الله تعالى هما أي منكر ونكير لا يشبهان خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق الطير ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما انس للناظرين جعلهما الله تذكرة للمؤمنين وهتكا لستر المنافق وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح وقيل هما للكافر والعاصي وأما المؤمن الموفق فله ملكان اسم أحدهما بشير والآخر مبشر اه باختصار وفي الحديث انهما اسودان أزرقان أعينهما كقدور النحاس وفي رواية كالبرق وأصواتهما كالرعد اذا تكلما يخرج من أفواههما كالنار بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضرب به

(١ قوله في مدة) أي كمية

الجبال لذابت (يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد) أى بعد انصراف الموارين الميت في قبره حتي انه ليسمع خشخشة نعالهم يقعدان العبد في قبره بعد أن يعيد الله تعالى روحه الى جسده كله كما ذهب اليه الجمهور وهو ظاهر الاحاديث الدالة على ذلك ويكمل له ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجواب من عقل وعلم وحواس وبعد هذا يجلس مستويا ذا روح وجسد فالسؤال للروح مع الجسد أي للهيكل المعهود لا للروح خاصة خلافا لمن ادعى ذلك (فيسألانه) معا أو السائل أحدهما خلاف وعلى القول الاخير يتجوز في نسبة السؤال لهما ويسألانه بلسانه خلافا لمن قال ان السؤال (١) بالسرياني أو بالعربي مطلقا مع انتهار للكافر وازعاج له وأما المؤمن فيرفقان به واذاوفق للجواب يقولان له نم نومة العروس الذي لا يوقظه

(١ قوله بالسرياني) أي مطلقا ونسب للبلقيني ونص عليه أيضا صاحب الابريز وبسط الكلام عليه ولا يستبعد ذلك عاقل لان الميت صار في عالم الآخرة وأحواله لاتقاس بحال عالم الدنيا ألا ترى الى ماجاء من قراءة كل انسان كتابه بنفسه مع القطع بان هناك أميين لاتحصى وانما كان بالسريانية لانها لغة الملائكة ومنهم ملائكة السؤال ولغة الارواح وما حجب الروح عن معرفتها الا الذات فلما زال حجابها عادت لاصلها بل ذكر أنها لسان أهل الجنة وما كان آدم يتكلم حين أهبط منها الا بها وبقيت في ذريته حتى زمن ادريس وحديث كلام أهل الجنة عربي موضوع اه منه

الا أحب الناس اليـه ويوسع له في قبره الى غير ذلك (عن التوحيد والرسالة و) بين كيفية السؤال بقوله (يقولان له من ربك) أي من معبودك (وما دينك) أي الذي تنقاد اليه وتنتمي اليه (ومن نبيك) أي من رسولك الذي أرسل اليك من معبودك فان وفق للجواب بان قال ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فاتبعناه واقتدينا به سلم ويقولان له ما تقـدم وان تلجلج واضطرب في الجواب بان قال لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فيقولان له لا دريت ولا عرفت ويفعلان به ما يسوءه من العقاب (وهما فتانا القبر) الفتنة الاختبار وهما أي منكر ونكير مختبرا القبر أي صاحبه ودليله قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري فأوحي الى انكم تفتنون في قبوركم الحديث وقوله (وسؤالهما أول فتنة بعد الموت) (١) عين ما قبـله في المعنى (وأن يؤمن) أي يصدق (بعذاب القبر) ومنه ضغطته التي لا ينجو منها أحد وهي انطباق جانبيه على الميت دليلها حديث لو سـلم أحد من ضغطة القبر لسلم منها سعد أي يؤمن و يصدق بالعذاب الواقع في القبر للكفار والمنافقين الى يوم القيامة وللعصاة من المؤمنين ويجوز رفعه عنهم كعذاب النار أي وأن يصدق بالنعيم في القبر للمطيعين و يستمر الى يوم القيامة لان القبر أول منازل الآخرة فيكرم فيه من أراد الله اكرامه ويهان فيه من أراد الله اهانته لقوله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة

(١ قوله عين ماقبله الخ) ولعله أعاده ليفيد انه أول فتنة

أو حفرة من حفر النيران وقبر (١) كل شئ بحسبه فلا فرق في ايصال ماذكر من العذاب أو النعيم لمن قبر أو أكلته السباع أو حرق والله على كل شئ قدير (وأنه) أي عذاب القبر (حق) أى ثابت بالادلة السمعية البالغة مبلغ التواتر التي أخبر بها الصادق وهي ممكنة في ذاتها أعنى الامور التى دليلها السمع فلا وجه لانكار بعضها ودليل عـذاب القبر ماتقدم وقوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية وقوله صلى الله عليه وسلم تنزهوا من البول فان عامة عذاب اقبر منـه وقال عليه السلام قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا باقول الثابت فى الحياة الدنيا وفي الآخرة نزلت في عذاب القبر (وحكمه) أي حكم عذاب القبر (٢) أي حكم هو هو فالاضافة بيانية فالمعنى وهو (عدل) أي واقع (على) جميع (الجسم والروح على مايشاء) تعالى لاعن الجسم فقط ولا عن الروح فقط كما قيل بكل وهو خلاف مذهب أهل الحق ومذهب أهل الحق أن المعذب أو المنعم كلاهما نعم بعضهم يقول المعذب بعض الجسم مع الروح وما قلته في عذاب القبر قله فى نعيمه أيضاً لان النصوص واردة بكل كما أشرنا اليه سابقا (وأن يؤمن) يصدق ويذعن (بالميزان ذي الكفتين واللسان) أي كالميزان المعهود لنا في الجلة ولذا قال (وصفته في العظم أنه مثل طبقات السموات) السبع (و) طباق (الارض) أي الارضين السبع بل أكبر لحديث سلمان

(١ قوله كل شئ) أي انسان (٢ قوله أى حكم هو الخ) أو المعنى حكم الله به عدل أي لاجور فيه

رضي الله عنه انه قال توضع الموازين يوم القيامة ولو وضعت فيهن السموات والارض لو سعتهن وهو ميزان واحد على التحقيق والجمع في الآية وغيرها للتعظيم ووزن اعمال العباد فيه دفعة واحدة وربك يعلم تمييز بعضها من بعض (توزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى) دفعة واحدة كما تقدم أي توزن اعمال الذين يحاسبون وأما من لاحساب عليهم فلا وزن عليهم أيضا كالملائكة والانبياء (والصنج) صروف الميزان التي يتحقق بها الوزن بزيادة بعضها أو نقص بعضها في مقابلة الموزون (يومئذ) أي يوم وزن الاعمال وهو يوم القيامة (مثاقيل الذر) أي ما يساوي ثقل الذرة في الوزن والذر هو النمل الصغير أو الهباء أو شئ لا يعلمه الا الله كما تقدم (والخردل) أى وما يساوي ثقل حب الخردل ويفعل ذلك (تحقيقا لتمام) اظهار (العــدل) على رؤس الاشهاد ولاكرام المتقين واهانة المخالفين والا فهو غني بعلمه تعالى عن الميزان وما شاكله واختلفوا في الموزون أهي الاعمال ويصور الصالح منها بصورة حسنة والسيئ منها بصورة قبيحة ولا منع في ذلك أم الاجسام لحديث ابن مسعود رجله أثقل من جبــل أحد أم صحف الاعمال بناء على أن للحسنات كتابا وللسيئات كذلك ويشهد لذلك حديث البطاقة انظره في الفائدة الثالثة من الفوائد الآتية وعليه جرى المصنف رحمه الله تعــالى حيث قال (وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة) أي بعد تصويرها بصورة حسنة (في كفة النور) وهي اليمنى (فيثقل بها) أي بسبب ثقلها يثقل (الميزان على قدر درجاتها

عند الله) تعالى قلة وكثرة وثقل الميزان بحسب ثقلها (بفضل الله) حيث لم يناقشه الحساب (وتطرح) أي توضع (صحائف السيئات في صورة قبيحة أي وتوضع صحائف السيئات بعد تصويرها بصورة قبيحة (في كفة الظلمة) وهي اليسرى (فيخف بها) أي بسبب خفتها يخف (الميزان) وخفة الميزان لخفتها (بعدل الله) لاظلم عليه في ذلك دليله قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية وقوله تعالى أيضاً والوزن يومئذ الحق (وأن يؤمن) يصدق ويذعن (بان الصراط حق) أي ثابت بالكتاب بقوله تعالى فاستبقوا الصراط وبالسنة بقوله صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون أنا وأمتي أول من يجوز وشرحه بقوله (وهو جسر ممدود على متن) أى ظهر (جهنم) يمر عليه الاولون والآخرون لان جهنم بين الموقف والجنة وطوله ثلاث آلاف سنة على قول الف صعود وألف هبوط وألف استواء وفيه سبع قناطر يسئل الشخص عن الايمان عند القنطرة الاولى فان جاء به تاما جاز الى القنطرة الثانية فيسئل عن كمال الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى القنطرة الثالثة فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى القنطرة الرابعة فيسئل عن الصيام فان جاء به تاما جاز الى القنطرة الخامسة فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الطهر فان جاء به تاما جاز الى القنطرة السابعة فيسئل عن المظالم فان كان لم يظلم أحدا جاز الى الجنة فان قصر في واحدة من هذه الخصال حبس عند كل عقبة منها الف سنة حتى

يقضي الله بما يشاء وهنا روايات آخر ووصفه بقوله (أحد من السيف وادق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه) والمنافقين و بعض العصاة ممن قضى الله عليه بالعذاب بسبب جذب الكلاليب التي في حافتيه (فتهوى بهم) أي تسقط بهم (الى النار) و يستمر فيها الكافرون والمنافقون ويخرج منها العصاة بالشفاعات على ما يأتي (وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله ف) يسلمون و (يساقون الى دار القرار) أي الاستقرار وهي الجنة وأهل السنة يبقون الصراط على ظاهره و يكلون كيفية المرور عليه الى الله تعالى و يعتقدون أن الله قادر على ذلك خلافا لمن أوله بما يخرج الوارد عن ظاهره بلا احتياج الى ذلك وكيفية المرور عليه مختلفة بحسب الاعمال فمنهم من يمر عليه كلمح البصر ومنهم من يسلكه حبوا و بينهما درجات وهذا بالنسبة للمؤمنين وأما غيرهم فدارهم تحته وقيل للمؤمنين صراط واسع يخصهم يسعون فيه بحسب مالكل من نور الطاعات بحيث ان كل واحد يسعى في نوره لايتجاوزه الى غيره (وأن يؤمن) يصدق ويذعن (بالحوض المورود) لمن اتبع ولم يبتدع بان آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وأخذ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعده وغض طرفه عما سوى ذلك وأما من خالف بان كفر أو اتبع ولكنه ابتدع بان أخذ بالتحسين والتقبيح العقليين أو رابي أو جار في الاحكام أو كان في عون ظالم أو مكاس ولو بالافة دواة وغير ذلك فاولئك يذادون عن الحوض اعاذنا الله من ذلك والصحيح أن لكل رسول

حوضا ترده أمته الطائعون وانما خص حوض النبي بالذكر لان أكثر الوارد فيه ولان الخطاب بالايمان به لامته صلى الله عليه وسلم وهو (حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون) المتقدم وصفهم (قبل دخول الجنة) أي (١) في موقف الحساب قبل المرور على الصراط (و) يشربون من حوضه أيضا (بعد جواز الصراط) وهذا يقوي القول بان له صلى الله عليه وسلم حوضين وشرع في بيان بعض أوصافه بقوله (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا) أى لا يظمأ بعدها أبدا ولو دخل النار يعذب بغير العطش ويكون شرابه منه أو من غيره كالتسنيم بعد ذلك لمجرد التلذذ والانبساط (عرضه مسيرة شهر)

(١ قوله أى في موقف الحساب الخ) ذكر الشيخ سيدى علي حرازم في جواهر المعاني آخر جواب شيخه أبى العباس أحمد التجاني عن قوله تعالى يوم يكشف عن ساق الآية عن الشيخ المذكور مانصه وأما خبر الحوض في الحديث فانما هو في مدة محاسبة الامة المحمدية فيأتونه فى غاية العطش والكرب من شدة الظما فيشرب منه من يشرب ويطرد عنه من يطرد ممن لم يغفر له من أهل النار ويشرب منه من المخاصين من غفر له أو أدركته شفاعة الشافعين فغفر له وهو قبل الصراط على التحقيق لتواتر الاخبار عليه وما ذكره بعض العلماء من أنه بعد الصراط لا يصح لان من جاوز الصراط لا يتأتى طرده عنه لانه قد كملت نجاته اه ماأملاه علينا اه ببعض تصرف وبالاتحاد قال أيضا سيدى عبد الوهاب الشعرانى في الجواهر عن سيدى على الخواص

أي وكذا طوله فهو شكل مربع قائم الزوايا ويشهد له الحديث الآتي (ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق) أي كيزان (عددها بعدد نجوم السماء) وفي الحديث الآتي أكثر من نجوم السماء ومعلوم أن هذا من قبيل العدد والعدد لامفهوم له ولا يعترض بانه يصغر عنها لانا نقول يمكن أنها بايدي الملائكة فهي ليست موضوعة عليه حتى يصغر عنها بل يتناول بها منه (فيه ميزابان) أي له ميزابان (يصبان فيه من الكوثر) في صحيح مسلم من حديث ثوبان يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق والكوثر نهر في الجنة وهذا يشهد لمن يقول ان الحوض متحد وبعد الصراط اذ لو كان حوض قبل الصراط لحالت النار بينه وبين وصول ماء الكوثر اليه ولكن وصول ذلك ممكن والواجب اعتقاده هو أن للنبي حوضا تعدد أو اتحد تقدم على الصراط أو تأخر ولا يضرنا جهل ذلك ودليله مافي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا يحتمل ما تقدم ويحتمل انه لايشرب منه الامن قدر له عدم الدخول الى النار وعلى كل الشرب بعد ذلك يكون للتفكه لاغير ولاتنافي هذه الرواية مافي بعض الروايات مما يدل على زيادة المساحة لاحتمال أن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمساحة القليلة ثم تفضل باكثر منها ﴿ فائدتان الاولى ﴾ المشهور أن

الميزان قبل الصراط وورد ما يخالف المشهور وهو ان الصحابة قالوا يارسول الله أين نطالبك يوم الحشر فقال عليه السلام على الصراط فان لم تجدوا فعلى الميزان فان لم تجدوا فعلى الحوض ويمكن أن يجاب بانها رواية غريبة فلا تعارض المشهور فتأمل ﴿ الثانية ﴾ اختلف العلماء في تفسير معنى الكوثر في قوله انا اعطيناك الكوثر فمنهم من فسره بالحوض والاخبار فيه مشهورة ومنهم من فسره بنهر في الجنة وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي الى مجرى الماء فاذا انا بمسك اذفر فقلت ماهذا قيل الكوثر الذي اعطاك الله وفي رواية له ايضا اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور خضر لها أعناق كاعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان ولعله انما سمى ذلك النهر كوثرا اما لأنه اكثر أنهار الجنة ماء وخيرا أو لانه انفجرت منه انهار الجنة كما روي أنه مافي الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر جار أو لكثرة الذين يشربون منه أو لكثرة مافيه من المنافع على ماقال عليه السلام انه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير ووجه التوفيق بين القولين أن يقال لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الانهار انما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع لتلك الانهار وقيل ان المراد بالكوثر جميع نعم الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو المنقول عن ابن عباس لان لفظ الكوثر يتناول الكثرة الكثيرة فليس حمل الآية على بعض هذه

النعم أولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل روى ان سعيد بن جبير لما روي هذا القول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال له بعضهم ان ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذى في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه هذا بعض ماقيل في كوثر الآية وأما معني الكوثر في اللغة فهو فوعل من الكثرة وهو المفرط في الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر أي بعدد كثير ويقال للرجل الكثير العطاء كوثر قال الكميت

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان ابوك ابن الفضائل كوثرا

ويقال للغبار اذا سطع وكثر كوثر اذا تحقق لديك معنى الكوثر في اللغة تعلم أن ماقاله المفسرون في معنى الكوثر في الآية يلائم معنى الكوثر في اللغة لانه مامن قول قاله المفسرون الاوفيه الكثرة المفرطة خصوصاً لمن استند للآثار الواردة في ذلك كالحوض والنهر في الجنة والآثار وان لم تتواتر الا انها قبلها السلف والخلف معولين عليها فلا وجه لمن أنكر على من فسر الكوثر بالحوض أو النهر الذي في الجنة وتشدق بما سولت له نفسه ورأى أنه أدرك معناه المراد لله تعالى كلا انها لنزغة نفسانية وهي ليست باولى له والعلم كله لله والادب مع العلماء اسلم للعواقب (وأن يؤمن) أى يصدق ويذعن (بالحساب) الحساب لغة العد واصطلاحا توقيف الله تعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على اعمالهم المكسوبة لهم أقوالا كانت أو افعالا أو اعتقادا بعد اخذ كتبها خيرا كانت أو شراً تفصيلا لا بالوزن الا من استثنى

وعددهم غير محصور وكيفية التوقيف من مواقف العقول فلا ينبغي التكلم فيها بالاحتمال بل الواجب التصديق بذلك اي بالتوقيف المذكور وكيفيته يعلمها الله تعالى (و)يؤمن ايضا (بتفاوت الناس فيه) أى في الحساب ومصيرهم (الى مناقش في الحساب) أي بعد أخذه كتابه بشماله واول من يأخذ كتابه بشماله الاسود بن عبد الاسد ومناقشة الحساب هي أن يشدد على المحاسب بان يسئل عن كل جزئية بان يقال له لم فعلت كذا أو تركت كذا على وجه الزجر ويطالب بالعذر في ذلك و باقامة الحجة أيضا ومتى طولب بذلك فلا يجد عذرا ولا حجة فيهلك مع الهالكين ويفتضح على رؤس الاشهاد والعياذ بالله تعالى (والى مسامح فيه) أي متساهل فيه أي لا مناقشة فيه وانما هو عرض العمل على صاحبه بعد اخذه كتابه بيمينه بناء على أن العصاة يأخذون كتبهم بشمالهم والمشهور خلافه وهو أنهم يأخذون كتبهم باليمين واختلف أصحاب المشهور في زمن الاخذ قيل يأخذونها قبل دخولهم النار ويكون علامة على خروجهم منها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها واول من يأخذ كتابه بيمينه الفاروق رضي الله تعالى عنه وبعده ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكيفية العرض أن تعرض على الشخص اعماله فيعرف الحسن منها والقبيح ولا يقال له لم فعلت على سبيل التوبيخ وهذا بالنسبة لغير العصاة وأما العصاة فيقال لهم ذلك وأزيد منه ولا يطالب بشيء ثم بعد العرض تضاعف له الحسنات ويتجاوز له عن السيئات ويرجع الى رفقائه فرحا مسرورا ويشهد لذلك

مافي الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب عذب قالت عائشة فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حساباً يسيرا و ينقلب الى اهله مسرورا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب (والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون) وسيدهم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعددهم اربعة آلاف الف الف وتسعمائة الف الف وثلاث حثيات اى دفعات بلا حصر ومن المعلوم أن المعلوم اذا صاحب المجهول يعطى حكمه أي المجموع مجهول فلا ينافي ما تقدم من عدم الحصر اذا علمت ذلك (فيسأل الله تعالى من شاء من الانبياء) الرسل بعد أن يسأل جبريل عليه السلام عن تبليغ الامانات الى الرسل عليهم الصلاة والسلام (عن تبليغ الرسالة) وهو أعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين من اممهم فيقولون بلغناما امرتنا بتبليغه وهذه دعوة منهم عليهم الصلاة والسلام ولذلك يطالبهم الله تعالى بالبينة عند انكار اممهم ذلك (و) يسأل (من شاء من الكفار عن) سبب (تكذيب المرسلين) بعد تبليغهم الرسالة اليهم فينكرون التبليغ من اصله بقولهم ماجاءنا من بشير ولا نذير ونحو ذلك ولو جاءنا الداعي لاتبعناه فحينئذ يطالب الله تعالى رسل المنكرين بالبينة على دعواهم التبليغ اظهارا لشرفهم و زيادة مقت وذل المنكرين فيقولون بينتنا امة محمد صلى الله عليه وسلم فيؤتى بهم فيشهدون على المنكرين بان رسلهم بلغتهم رسالة ربهم فيطعن المنكرون في شهادتهم عليهم بقولهم لم يجمع بيننا وبينهم

مكان ولا زمان حتى تتأتى شهادتهم علينا فيطالب الله سبحانه وتعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم ببيان سبب الشهادة على المنكرين حيث لا اجتماع معهم فيجيبون بان الحامل لنا على الشهادة عليهم علمنا ذلك من كتابك العظيم الذي انزلته على نبيك الكريم والبينة تحتاج الى مزك فياتي نبينا صلى الله عليه وسلم فيزكينا ولله الحمد الذي خصنا بهذه الفضيلة حيث جعلنا شهداء على الناس وجعل نبينا شاهداً علينا ومزكياً لنا قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (ويسأل المبتدعة) أي (١) الاثنين والسبعين فرقة عن سبب عدولهم (عن السنة) الى البدعة سؤال مناقشة فلا يجدون جوابا يجديهم نفعاً وبعد ذلك يفعل بهم مايريد ودليله مافي ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم في شيء من القدر سئل عنه يوم القيامة ومن حديث ابي هريرة مامن داع يدعو الى شيء الا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا اليه وان دعا رجل رجلا (ويسأل المسلمين) أي غير

(١ قوله الاثنين والسبعين فرقة) قال صاحب الابريز لما علمني الشيخ رحمه الله توحيد الصوفية العارفين بالله قال لي هذا الذي كانت عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بعد أن علمت اشارته ياسيدي لو علم الناس هذا الحق في التوحيد مافترقت الامة الى ثلاثة وسبعين فرقة فقال نعم وهو الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتبه لهم في كتاب عند وفاته حتى لاتضل أمته من بعده أبدا اه ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما الرزية كل الرزية مامنع رسول الله من أن يكتب لنا كتابا وهو اختلافهم وتنازعهم في الكتب وعدمه أو كما قال

المبتدعين (عن الاعمال) بان يقول للواحد منهم فعلت كذا وكذا وهو لا يستطيع أن ينكر شيئاً من ذالك ويخشى على نفسه الهلاك وبعد ذالك يقول لمن سبقت له العناية هذه ذنوبك قد سترتها عليك في الدنيا وسأسترها عليك الآن اذهب مغفورا لك وغيره يؤاخذ بها على حسب ما اراد الله تعالى والدليل على ثبوت السؤال يوم القيامة قوله تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين وقوله عليه الصلاة والسلام الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي ربي حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال تعالى سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (وأن يؤمن) أي يصدق ويذعن (باخراج الموحدين من النار) أي المعترفين بالواحدانية لله و بالرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم ارتكبوا ماهو سبب شرعي لدخول النار من تضييع المامورات وارتكاب المنهيات وأن يعتقد اعتقاداً جازما باخراج الله الموحدين من النار (بعد الانتقام منهم) واخراجهم مرتب علي حسب جرائمهم (حتى لا يبقى في جهنم) وهي الطبقة العليا التي تبقى خالية وينبت فيها الجرجير (موحد) واخراجهم من النار ليس بطريق الوجوب على الله تعالى وانما هو (بفضل الله تعالى) أي تنزه عما لايليق به وفرع على ما قبله قوله (فلا يخلد في النار موحد) ولو ارتكب الكبائر وفاء بوعده تعالى في قوله تعالى فمن

يعمل مثقال ذرة خيرا يره واحتمال رؤيته (١) قبل دخوله النار يبطله قوله تعالى وما هم (٢) منها بمخرجين فلم يبق لرؤيته موضع الا بعد الخروج من النار وقوله تعالى أيضاً وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (٣) وعجز الآية يدل على استيفاء الاجر بالنسبة لمن يدخل النار لايكون الا بعد الخروج منها وتبقى بعد خروجهم منها خالية بدليل حديث ابن عمر ويأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد يعني من الموحدين أهل الطبقة العليا فاذا لم يبق فيها أحد غير الكفار أتى بالموت في صورة كبش (٤) فيذبح بين الجنة والنار ويعرفه كل أحد من الفريقين كما في السنن (وأن يؤمن) أي يصدق ويجزم (بشفاعة الانبياء) الشفاعة لغة الوسيلة

(١ قوله قبل دخوله النار) أي بأن يدخل الجنة جزاء لما عمله من الخير ثم يخرج منها ويدخل النار عقابا لما عمله من الشر (٢ قوله منها) أي من الجنة (٣ قوله وعجز الآية الخ) وأدل منه ما في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان

(٤ قوله فيذبح) قيل الذي يذبحه سيدنا يحي عليه السلام لما في اسمه من الضدية للموت فلذا خص به قال في الابريز ان الناس اذا دخلوا الجنة تحدثوا ولا سيما في اليوم الاول بما كان في دار الدنيا ولا سيما أمر الموت فلذا ينعمهم تبارك وتعالى ويفرحهم بذبحه في صورة كبش والمذبوح ملك اه

والطلب وعرفا سؤال الخير للغير وشفاعتهم عليهم الصلاة والسلام وكذا غيرهم بعد شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في فصل القضاء وهي الشفاعة العظمى التي يغبطه بها الاولون والآخرون وهي أول المقام المحمود فهو الفاتح لباب الشفاعة لما ثبت في الصحيحين أنا أول شافع وأول مشفع فيجب على المكلف أن يعتقد أن نبينا عليه الصلاة والسلام شافع مقبول الشفاعة وأنه أول شافع وله شفاعات آخر منها ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب ومنها ادخاله الجنة (١) من استحق دخول النار ومنها اخراج الموحدين من النار والملائكة كالانبياء في الشفاعة قال بعضهم أول من يشفع من الملائكة جبريل وآخرهم التسعة عشر صلى الله عليهم أجمعين وانظر أفي الانبياء بعد نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ترتيب فيما بينهم في الشفاعات وكذا فيما بينهم وبين ما بعدهم وهكذا أم لا ترتيب بعده وعليه فالعطف بثم في قوله (ثم العلماء) الخ لمجرد الترتيب الذكري والمراد بالعلماء العلماء العاملون وأما غيرهم فيحتاج للشفاعة (ثم الشهداء) أي شهداء القتال ويحتمل ما هو أعم (ثم سائر المؤمنين) أي ثم باقي المؤمنين فيشمل الصحابة والاولياء والاطفال ويشفع (كل) في أهل الكبائر خلافا لمن قال ان الكبائر لا شفاعة فيها وحديث لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي موضوع باتفاق وعلى تقدير صحته يحمل على من ارتد منهم ويعارض بالحديث الصحيح

(١ قوله من استحق) أي بعض من استحق ليكون للشفاعة في الاخراج من النار محل

الدال على شفاعته فيهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم ادخرت عند ربي شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وغيره بالقياس عليه وأما الصغائر فلها مكفرات كاجتناب الكبائر والوضوء و يشفع كل (على حسب) أي قدر (جاهه ومنزلته عند الله تعالى) ولا يلهم أحد ممن ذكر الشفاعة الا بعد انقضاء المدة المتحتمة عند الله تعالى ونفع الشفاعات بحسب الظاهر والحق انها من باب القضاء المعلق (ومن بقي من المؤمنين) في النار (و) الحال انه (لم يكن له شفيع) غير الله (أخرج بفضل الله عزوجل) أي بلا واسطة رسول أو غيره بل بشفاعة الله وشفاعة الله كناية عن عفوه عن عبده المسكين اذا علمت ذلك (فلا يخلد في النار) أي لا يمكث في النار أبدا (مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال) أي وزن (ذرة) أي نملة صغيرة وقيل الهباء وهو ما يظهر عند دخول الشمس في الكوى وقيل شئ لا يعلمه الا الله كما تقدم (من الايمان) بيان لمثقال الذرة ﴿ فوائد الاولى ﴾ مما يجب الايمان به على كل مكلف معرفة ما يأتي ذكره مما ورد به السمع ولا طريق اليه الا منه وهو الايمان بالكتب المنزلة اجمالا فيما لم يذكر اسمه وتفصيلا فيما ذكر اسمه وهي أربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان و بالملائكة كذلك أي اجمالا فيمن لم تذكر أسماؤهم وتفصيلا فيمن ذكرت أسماؤهم وقد تقدم ذكر بعضهم والذي لم أذكره سابقاهم الرعد والبرق والسجل وهاروت وماروت وقعيد (١) وذو القرنين والسكينة والروح و بعضهم في ملكيته خلاف و بالانبياء

(١ قوله وذو القرنين) ممن عده منهم الشيخ مياره في كبيره

كذلك وقد تقدم الكلام عليهم وباليوم الآخر وهو يوم القيامة وسمى بذلك (١) لانه آخر أيام الدنيا وهو يوم لانهاية له ولا ليل يعقبه دليل ما ذكر قوله تعالى آمن الرسول الى آخر الآية وبالعرش وبالكرسى وباللوح وبالقلم وهي أجسام عظام ومما يدل على عظمة العرش والكرسى ما وصفهما به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة وعليه فالكرسى هو الفلك الثامن والعرش هو الفلك التاسع المسمى عند أرباب الهيئة بالفلك الاطلس وهو المدير لجميع الافلاك وعن الحسن البصرى ان الكرسى هو العرش ومما يدل على عظم اللوح ماروي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أن طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء اه وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته ومما يدل على عظمة القلم ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أن طوله ما بين السماء والارض وهو من نور وبالموت لكل ذى حياة حادثة وهي أمر وجودي يضاد الحياة قال تعالى كل نفس ذائقة الموت وغير ذلك وبان الذى يقبض الروح رسول الموت وهو سيدنا عزرائيل عليه الصلاة والسلام وهو ملك عظيم هائل المنظر مفزع لمن رآه

(١ قوله لانه آخر الخ) أو لانه لايوم بعده

وجميع الخلق بين يديه وله اعون و يجب تعظيمه واحترامه قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت و بان الشخص لايخرج من الدنيا حتى يستوفى ماقدر له من رزق وأجل وعافية و بلاء وغير ذلك و بان القاتل لم يقطع عن المقتول أجله بل ذلك أجله المحتم له ولا عبرة بقول من قال ان المقتول أجلين و بان الله يرزق الحلال والحرام والمكروه ومع ذلك يعذب من تعاطى الحرام لا يسئل عما يفعل و بالبعث و يرادفه النشر وهو أن يبعث الله الموتى من القبور بان يجمع أجزاءهم الاصلية و يعيد الارواح اليها والدليل على ذلك قوله تعالى ثم انكم يوم القيامة تبعثون وقوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وقوله تعالى ثم يعيده وهو أهون عليه وغير ذلك و بالحشر وهو كناية عن سوق الخلق بعد احيائهم الى أرض المحشر وغير ذلك من مواطن الآخرة (١) و بعدم التناقض بين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها و بين قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا لان الموقف مواطن ففي بعض المواطن تجادل وفى بعضها لا يتكلمون(٢) و بنفوذ الوعيد

(١ قوله و بعدم التناقض الخ) وكذا كل ماأوهمه في القرآن وقوله مواطن قيل هى خمسون موطنا كل واحد منها يسمى يوما مقداره ألف سنة كما جمع به بين قوله تعالى وان يوما عند ربك ألف سنة وفي آية أخرى مقداره خمسين ألف سنة فانها باعتبار جميعها المواطن كلها وغرضه الايمان بأن القرآن كله لا تناقض فيه وما أوهم ذلك يؤول أو يفوض فيه للعالم المطلق

(٢ قوله وبنفوذ الوعيد الخ) هذا بناء على مذهب الماتريدية من انه لايجوز تخلف الوعيد لما يلزم على ذلك من المحال في حقه تعالى أما

في طائفة من أمته صلى الله عليه وسلم و بعدم خلود موحد في النار كما تقدم و بان الكبائر ماعدا الكفر لا تخرج المؤمن من الايمان و بان الكفر لا يغفر شرعا لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و بان الايمان والطاعة لا يدخلان العبد الجنة بل الدخول بفضل الله ليس الا وانما تتفاوت مراتب أهل الجنة بسببهما لقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته أو كما قال عليه الصلاة والسلام و بالجنة والنار و بانهما مخلوقتان الآن و بان نعيم الجنة وعذاب النار دائمان ولا عبرة بمن أنكر وجودهما الآن ولا بمن قال بفنائهما ولو لحظة

﴿الثانية﴾ في بيان لزوم جميع العقائد للازم معنى لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم وفقني الله واياك والمسلمين ان معنى لا اله الا الله لا معبود بحق الا الله ويلزم هذا المعنى أن يكون غنيا عن كل ما سواه وأن يفتقر اليه كل ما عداه ويلزم كونه غنيا عن كل ما سواه وجوب الوجود له والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والسمع والبصر والكلام وكونه سميعا و بصيرا ومتكلما وعدم الغرض في فعل ما أو حكم كذلك وعدم التأثير بالقوة المودعة وعدم وجوب فعل عليه تعالى واستحالة العدم والحدوث والفناء والمماثلة للحوادث وعدم القيام بالنفس والصمم والعمى والبكم وكونه أصم وأعمى وأبكم والتأثير

على مذهب الاشاعرة من جواز تخلفه لانه على تقدير المشيئة كما هو شأن الكريم فلا يجب

بالقوة المودعة والغرض في فعل أو حكم ما ووجوب فعل عليه تعالى فهذه ثمان وعشرون عقيدة ما بين واجب له تعالى ومستحيل عليه تعالى ويلزم كونه مفتقرا اليه كل ما عداه وجوب الوحدانية له في الذات والصفات والافعال والحياة والعلم والارادة والقدرة وكونه حيا وعالما ومريدا وقادرا وحدوث العالم وعدم التأثير بالعلة والطبع والتولد واستحالة التعدد في الذات والصفات والافعال اتصالا وانفصالا راجع ماتقدم والموت والجهل والكراهية والعجز وكونه ميتا وجاهلا ومكرها وعاجزا وقدم العالم والتأثير بالعلة والطبيعة والتولد فهذه اثنتان وعشرون عقيدة ما بين واجب له تعالى ومستحيل عليه تعالى ومعنى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوت الرسالة له صلى الله عليه وسلم ويندرج تحته وجوب الامانة والتبليغ والصدق واتصافه بما لا نقص فيه سواء كان واجبا كالفطانة وعدم دناءة الآباء والامهات أو جائزا كالمرض والجوع وايماننا بجميع الانبياء والكتب والملائكة واليوم الآخر واستحالة الخيانة والكتمان والكذب واتصافه بما فيه نقص كالبلادة والجنون والعمى فهذه ست عشرة عقيدة تضم لما تقدم تكون جملتها ستا وستين عقيدة

﴿ الثالثة ﴾ في فضل لا اله الا الله قال العلامة سيدي محمد بن يوسف السنوسي في شرح صغراه فاعلم أنه لو لم يكن في بيان فضلها الا كونها علما على الايمان في الشرع تعصم بها الدماء والاموال الا بحقها وكون ايمان الكافر موقوفا على النطق بها لكان كافيا للعقلاء كيف وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة فمنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل

ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لاشريك له رواه مالك في الموطا زاد الترمذي في روايته له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وروى هو والنسائي أنه صلى الله عليه وسلم قل أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وروى النسائي أنه صلى الله عليه وسلم قل قل موسى عليه الصلاة والسلام يارب علمني ما أذكرك به وأدعوك به فقال ياموسى قل لا اله الا الله قال موسى عليه السلام يارب كل عبادك يقول هذا قال قل لا اله الا الله قال موسى لا له الا أنت انما أريد شيئاً تخصني به قل ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل الى الميزان ويؤتى بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم تخرج بطاقة مقدار الانملة فيها شهادة أن لا اله الا الله محمد رسول الله فتوضع في الكفة الأخرى فترجح بخطاياه وذنوبه وروى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قل التسبيح نصف الايمان والحمد لله تملأ الميزان ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه الى غير ذلك أنظر الشرح تستفيد

﴿ الرابعة ﴾ في كيفية ذكرها وتعظيمها أما كيفية ذكرها فهي أن يرقق جميع حروفها ما عدا لام الله وأن يمد لا ويحقق الهمزة ويمد اللام مدا طبيعيا وأن لايشبع حركة الهاء من لا اله ويحقق الهمزة ولا يشبع حركتها ويشدد اللام من الا ويفخم اللام من الله واذا ذكر

الله (١) مفردا فايقطع الهمزة ولا يشبع حركتها وهو مخير في مد اللام من الله وفي الاقتصار على المد الطبيعي وأما تعظيمها فينبغي للذاكر أن يكون على طهارة متطيبا متجملا مستقبلا ان كان وحده (٢) مستحضرا معناها بحسب الامكان ولا يترك الذكر مع عدم الحضور بل يذكر مستعملا لبقية الآداب لعل أن تغشاه نفحة الهية تنقله من الغفلة الى الحضور ومن الحضور الى المشاهدة وأن لا يتصرف في شئ من حروفها بزيادة أو نقصان بل يقتصر على الوارد شرعا ما دام له شعور بذلك فاذا غلبه الحال

(١ قوله مفردا) حال من لفظ الجلالة بقي الكلام في أيهما أولى للذاكر قال أبو المواهب الشاذلي اختار أهل التعريف ذكر الله الله الله فقط دون لا اله الا الله لوحشتهم من توهم ثبوت الالهية حتى ينفونها والذي أقول به ان من غلب عليه الاهواء فذكر لا اله الا الله أنفع له ومن خلص من الاهواء فذكر الجلالة فقط أنفع له اه

(٢ قوله مستحضرا معناها) لان الحضور روح الاعمال وقال بعضهم ذكر بلا حضور رياء وذكر الشعراني في درر الغواص عن سيدي على الخواص في معنى الحضور ما نصه وقلت للشيخ هل الذاكر أن يشتغل بمعاني الذكر فقال لا ينبغي له أن يشتغل بمعاني الذكر وانما الواجب الاشتغال بالذكر على وجه كونه تعبدا لا يعقل معناه فان الذكر يعمل بخاصيته فيه بل الواجب عليه مراقبة المذكور فقط لئلا يحرم المدد اه وكذا قال سيدي ابو الحسن الشاذلي في استحضار المصلى معانى القرآن انه الران اى الذى ذكره الله حيث قال كلا بل ران على قلوبهم اى غطاها فلا تبصر الهدى ولعل هذا المقام للكمل والمشهور هو مقام من دونهم

وزال عنه الشعور رفع عنه التكايف في ذلك الوقت فكل ما يصدر عنه لا يؤاخذ به بل يثاب على ما يصدر منه (١) ولو قال أه أه أو قال هُ هُ هُ أو قال أ أ أ وغير ذلك ولا يجوز تقليده في شئ من ذلك لان حكمه حكم المجنون من حيث رفع التكايف وان كان محترما من حيث ان غيابه في الله اذا تحقق لديك هذا تعلم أن ما خالف هذه الكيفية لا يعد ذكرا شرعيا كاملا وأن يذكرها في موضع طاهر لا رجس ولا فسق فيه كيف لا يعظمها المؤمن والله سبحانه عظمها وفضلها على سائر الكلام هذا وقد شاع وذاع الفساد وعم سائر الاقطار والبلاد حتى أعمى البصائر ودنس السرائر فلانا هي ولا منتهي واجتمع الكلاب على الخبائث

(١ قوله ولو قال أه الخ) او الله الله بلا مد او هو هو اولا لا او آ آ بالمد او اا بالقصر او هاها او عياط بغير حرف أو صرع او تخبيط فادبه فى ذلك الوقت أن يسلم نفسه لوارده يتصرف فيه كيف يشاء لان الذاكر اذا نوى الذكر بقلبه وابتدأ بلسانه بلفظ لا اله الا الله ثم سلب اختياره فى تلك النية فهو ذاكر الله تعالى على أى حالة كان لان المنظور اليه هو القلب والنية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم بل ينظر الى قلوبكم ونياتكم وقال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى لا تكون الا بالقلب والنية والاصل منعقد على النية اه من الرماح فى فصل الترغيب في الاجتماع للذكر عن رسالة آداب الذكر للشيخ يوسف العجمى

واذا وجدناه (١) عيب قوله واستصغر عقله ورأوا انه أتى بمنكر تنهد منه الجبال وذلك أن مما عليه غالب الناس اليوم تحريف الذكر بالكلمة المشرفة ولا سند لهم في ذلك الا نسبة التحريف الى مشايخهم مثلا وهذا جواب غالبهم ولو بينت له الذكر الشرعي و بعضهم يستند في تحريفه الى ما روي من أن آه بمد الهمزة وسكون الهاء اسم من أسماء الله تعالى ولا يصح هذا الاستناد من وجهين. الوجه الاول انه لم يعد من أسمائه الحسنى (٢) التي بينها المصطفى صلى الله عليه وسلم. والثاني ان من قيلت في حقه لا يستطيع غيرها لكونه كان مريضا فهو في حالة تشبه من غاب

(١ قوله عيب قوله الخ) هذه سنة الله في خلقه حتى من الانبياء والمرسلين ليحصل لهم أجر تحملهم ومع هذا تكون العاقبة للمتقين وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر وماصبرك الا بالله الآية وقال سيدي عبد الغفار القوصي كلام المبطل على المحق كنفخة ناموسة على جبل فكما لا تزيله النفخة كذلك لا يزيل الباطل الحق والاصل في هذا قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا (٢ قوله التي بينها الخ) أي واشتهرت عند العلماء فلا ينافيه ماروى عن ابن العربي أن له تعالى ألف اسم كالنبي صلى الله عليه وسلم وما روي عن سيدي أحمد الرفاعي أيضاً انه سمع رجلا يقول ان الله تعالى له خمسة آلاف اسم فقال له قل ان لله أسماء بعدد ماخلق من الرمال والاوراق وغيرها وذكر صاحب الابريز أيضاً انه قال كنت مع الشيخ يوما فسألته عن اسمائه تعالى وعددها وأن من العلماء من قال انها أربعة آلاف اسم فقال رضي الله عنه اني في لحظة قدر تغميضة العين وفتحها أشاهد من اسمائه تعالى مايزيد على مائة ألف اسم والترقي هكذا على الدوام في كل لحظة اهـ

عقله وقد تقدم أنه لا يجوز تقليده ثم زادوا في السفه وقلة الحياء من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن عباد الله الصالحين حيث جعلوا اسمه العظيم واسم نبيه الكريم ينشد بهما المغنون مع آلات الطرب واللهو المحرم استعمالها واستماعها وقد يستعملون ذلك في بيوت الله التي أذن الله فيها أن ترفع ويذكر فيها اسمه ويسمون ذلك باسم لم يوافق المسمى بل ضده بذلك أولى وهو سماع الجد وذلك أن السماع الجائز الذي نص عليه الفقهاء والصوفية أن يكون المسموع لا يثير شهوة وأن لا يكون قولا قبيحا وأن لا يكون مع الآلات المحرمة فاذا توفرت شروطه جاز بل اذا رفع الى حالة حسنة ندب وزاد بعض الصوفية في الشروط أن لا يكون المتكلم أمرد • وأن لا يكون في المجلس أمرد أيضا وجميع الشروط مختلة في سماعهم اليوم بل اذا لم يكن المنشد يضاهي الشادن ملحظا لا يطيبون به واذا قيل لهم ان هذا منكر لا يجوز استعماله ولا الحضور فيه قالوا نحن نستعمله منذ سنين ويحضر معنا العلماء والفقهاء ولم ينكر علينا أحد منهم بل اذا عمل أحد العلماء أو الفقهاء وليمة استدعى أرباب الملاهي وفعل ما نفعله نحن بل ربما مدح أرباب الملاهي بقصائد ونحوها وفيما ذكر دليل على جواز استعمال ذلك والا لما حضر وفعل هؤلاء الفضلاء آلات الطرب ويرد عليهم من حيث ان سندهم في ذلك هو حضور العلماء الخ بان هذا فعل والعلماء (١) لا يقلدون في أفعالهم كيفما كانت لانهم ليسوا بمعصومين

(١ قوله لا يقلدون الخ) بل توزن بميزان الشريعة فما وافقها قبل وما لا فلا وقال مجاهد ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم

واٴنما المعتبر في هذا ونحوه (١) نصوص الائمة الاعلام المقتدى بهم

(١ قوله نصوص الائمة الخ) وفي جواهر المعاني في الفصل الثالث في معرفة الشيخ الذى يتبع فى سائر أقواله وأفعاله مانصه وسئل أبو العباس التجاني عن حكم السماع فأجاب بما محصله والامر المحقق فيه في هذا الوقت أن ما كان خاليا من آلات الطرب ومايشوش الفكر من ذكر القدود والخدود والتشبيب بالنسوان وسماع أصواتهن وأصوات الشبان ذوى الجمال فكل ماخرج عن هذه الامور وسلم من اختلاط النساء بالرجال المحرم شرعا فالحكم فيه أن ينظر الشخص في حاله عند سماعه فان وجد بذلك زيادة فى حاله او تحريكا لساكن همته الى النهوض لطلب الحضرة الالهية او للبعد عن المالوفات والعادات والصور المهيآت والمحرمات أو للتعلق بالله تعالى وتحريك شئ من محبته في القلب فيلزم صاحب هذا الحال حضوره وايثاره مالم يؤد الى تعطيل اوراده والخروج عن مراعاة اوقاته والا فضرره اكثر من نفعه وان وجد فيه فتور عزيمته والميل الى الراحة وركون نفسه اليها بتقليل نهوضها الى الحضرة الالهية فصاحب هذا الحال لايحل له حضوره ولا الالمام به وان كان حال الشخص في حضوره لا زيادة ولا نقص من كل ماذكرنا الا التمتع بالاصوات المطربة والالحان المعجبة فالحكم في هذا الاباحة ان شاء حضره وان شاء تركه وما كان من اصوات الشبان ذوى الجمال والنسوان فسماعه محرم أو كالمحرم للكل ولو رأى منه زيادة في حاله فان الولوع بذلك كالذى يشرب عسلا مخبأ فيه سم ساعة فانه يقتله من حيث لايدريه لان السماع بالآلات بمنزلة السحاب المفروح به للسقى والامطار فسقط منه على الثمار برد عظيم وصواعق فأفسد الثمار الذى كان ينتظر اصلاحه الا ان يكون بحضرة شيخ واصل كامل فان حضوره

العدول وقد نص الائمة رضى الله عنهم بان الحضور في مجالس الآلات المطربة ولو كانت مصاحبة لاذكار أو صلوات أو مدائح وعظية حرام يفسق من حضرها ويجرح في شهادته بسببه ولا تجوز امامته وكتب الفقهاء مشحونة بذلك وعليه فيقال ان العلماء والفقهاء الذين يحضرون تلك المجالس لايخلو حالهم من أمرين اما انهم يجهلون حكم الله في ذلك واما أنهم تعمدوا ذلك غير مبالين بحرمات الله تعالى وعلى كل لايجوز تقليدهم في ذلك لثبوت فسقهم شرعا . هذا ولا تغتر بما في حاشية الصاوي على أقرب المسالك تبعا لما في حاشية الشيخ الامير على سيدي عبد الباقي تبعا للرسالة المنسوبة للتونسي لان تلك الرسالة مردود مافيها مما يدل على جواز استماع الآلات بنقول عن الائمة المقتدى بهم وكثير ما يتروح بعض الطلبة بما في حاشية الامير أو بما نسب للتونسي ظنا منه ان الامير والتونسي لايحصل لهما سهو وهذا منه سهو بل جهل لعدم اطلاعه على نصوص الفحول في هذا الموضوع نعوذ بالله من الجهل اللهم علمنا علما ينفعنا ويقربنا اليك أنظر أيها الاخ في الرسالة المسماة بالسيف اليماني لمن قال بحل سماع الآلات والاغانى أو السم القاتل للمفتي المتساهل وهى رسالة عظيمة في هذا الموضوع لمؤلفها شيخ مشايخنا الشيخ مصطفى البولاقي حفه الله بالرضا يوم التلاقي . وانما أطلت الكلام

عاصم من الضرر والهلاك وكل هذا في حق أهل الحجاب دون الغارق في بحار الحقائق والتوحيد فيترك لحاله ومقامه اذ هو أعرف بمصالحه وعلله اه ببعض تصرف في اللفظ

هنا لان المقصود من التأليف النصيحة لعباد الله وحيث ذكرت تعظيم الكلمة المشرفة أردت بيان ما عليه الناس اليوم في أذكارهم من اخلالهم بتعظيمها لكى يرجع من وفقه الله تعالى عن غيه الى تعظيمها وبذلك يحصل له الخير العاجل والآجل (وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم) أي وأن يجزم بتفضيل الله تعالى للصحابة على سائر الامة المحمدية لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقوله أيضا الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقد تقدم تعريف الصحابي وأما تفضيلهم على سائر الامم المتقدمة فاحرى لدخولهم في ضمن قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيئين والمرسلين (و) أن يعتقد (ترتيبهم) في الفضل (و) أن يعتقد (أن أفضل الناس) أي أكثر الناس ثوابا (بعد النبي) محمد (صلى الله عليه وسلم) أي وبعد باقي الانبياء والمرسلين (أبو بكر) الصديق (ثم عمر) الفاروق (ثم عثمان) ذو النورين (ثم على) ابن عم النبي وزوج البتول (رضى الله عنهم) وعنا والمسلمين بهم وهذا الترتيب مأخوذ من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وهو كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على فلم ينهنا وأيضا السلف والخلف على ذلك الامن شذ كالخطابية والشيعة وقد

توقف امامنا مالك فى التفضيل بين عثمان وعلى رضى الله عنهما ونقل بعضهم أنه رجع عن ذلك التوقف وقال بما قال به الجمهور والمراد بالفضل كثرة الثواب كما تقدم (وأن يحسن الظن بجميع الصحابة) رضى الله تعالى عنهم بان يؤول ما وقع بينهم من التشاجر و يحمله على محمل حسن ان أمكن والا أمسك عن الخوض في ذلك لانهم مجتهدون والمجتهد مأجور كيفما كان (و يثنى عليهم) الخير حيث آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه وأقاموا من بعده بالدين ثناء (كما أثنى الله عز وجل) عليهم في قوله تعالى والذين معه أشداء على الكفار الآية وغير ذلك من الآيات الناطقة بفضلهم وعدالتهم (و) كما أثنى (رسوله) محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوله الله الله في أصحابى الحديث المتقدم و بقوله أيضا الله الله في أصحابي لاتتخذوهم غرضا من بعدي من آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وغير ذلك من الاحاديث الكثيرة الدالة على ذلك ويثنى عليهم أجمعين كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليهم وسلم (عليهم أجمعين) لثبوت العدالة لهم باخبار الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام (فكل ذلك) اسم الاشارة عائد لما تقدم له من أول الكتاب الى هنا (مما) أي من العقائد التي (وردت به) وذكر باعتبار اسم الاشارة (الاخبار) أي جاء بها السمع سواء كان كتابا أو سنة وتقدم بيان غالبها (وشهدت بثبوته الآثار) أي بثبوت العقائد وذكر الضمير لما تقدم والمراد بالاخبار والآثار هنا السمع كما تقدم

(فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به) أي مذعنا به لانه الكافي وأما مجرد الايقان مع عدم الاذعان فلا ينفع لقوله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الآية (كان) معدودا (من أهل الحق) أي من أهل القول الحق الثابت (و) معدودا من (عصابة) جماعة أهل (السنة) أي العاملين بها والناصرين لها والمراد بها هنا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح (وفارق) أي باعد و باين (رهط الضلال) أي جماعة الضلال أي الجماعة المنتسبين لغير القول الحق (و) فارق (حزب) أي جماعة (البدعة) أى الآخذين بها والمنصبين لها والبدعة ما خالفت السنة ولم تنطبق عليها قواعد الشرع وختم كتابه بالدعاء كما هو شأن الكاملين لعلمهم بان الدعاء مخ العبادة بقوله (فنسأل الله كمال اليقين) أي نطلب من الله تعالى اليقين الكامل وهو الحاصل عن المشاهدة وهذا أرفع مقامات اليقين (و) نسأل الله تعالى أيضاً (حسن الثبات في الدين) أي الثبات الحسن في الدين وهو التمسك به وعدم مفارقته بان يعتقد عقائده ويعمل بفروعه ولا يضل عن ذلك أي ونسأله سبحانه وتعالى الاعانة على الثبات الحسن في الدين (لنا ولكافة المسلمين برحمته) وفضله وسألت ذلك لي ولكافة المسلمين لحسن ظني فيه بانه يجيب دعوتي (انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد) أي ورحم الله سيدنا ومولانا وناصرنا محمدا رحمة مقرونة بالتعظيم (و) صلى الله (على كل عبد مصطفى) مختار أي ورحم الله كل عبد مختار والاصطفاء مقول على أفراده بالتشكيك فأعلى افراده

المتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هو أشرف مصطفى وأقل افراده (١) من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان لانه مصطفى بالنسبة لمن تجرد عن ذلك تأمل هذا وقد وعدنا في مبحث المعجزة أن نتكلم بشئ في شأن الاولياء وللوفاء بالعهد نقول قال الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى اعلم أن روح الاسلام حب الله تعالى وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده وعنه عن شيخه الحضرمي قال ورآى بعض الصالحين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله عن أفضل الاعمال فقال عليه السلام وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله تعالى قدر حلب شاة أو ناقة قال قلت حيا أو ميتا قال صلى الله عليه وسلم حيا كان أو ميتا أبو نعيم في الحلية أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب الى أولياء الله تعالى بما يحبون وأن علامة محبة الله محبة أوليائه وقال ابن عرضون اعلم أن التوسل باولياء الله عموما سبب فى قضاء الحاجات ونيل الكرامات وكذا التوسل باهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لكرامتهم عند الله تعالى فما بالك بمن اجتمع فيه الوصفان كسيدى عبد القادر الجيلانى وكالشيخ القطب الغوث الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش الحسنى رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته آمين فالتوسل به والدعاء عند قبره مجرب النجاح وفي طالع الامانى ما نصه وفي شرح الرقعى قال الفقيه راشد ويجوز أن ينتفع الحي من الميت

(١ قوله من كان) أى المتعلق بمن كان

بزيارته ويطلب من الله قضاء حاجته وذكر الفندلاوي في كتابه المستفاد أن الدعاء مستجاب عنـد قبر الشيخ الشهير والقطب العالم الكبير أبي جيـدة بن أحمد اليزغيثني دفين باب المسافرين قال سيدي أحمد زروق في قواعده على زيارة المقابر كل من يجوز التبرك به في حياته يجوز التبرك به بعد موته كذا قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه في كتاب آداب السفر قال ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يعارضه حديث لا تشد الرحال الا المساجد الثلاثة لتساوي المساجد في الفضل دون الثلاثة وتفاوت العلماء والصلحاء في الفضل فتجوز الرحلة عن الفاضل للافضل ويعرف ذلك من كرامته وعلمه وعمله سيما من ظهرت كرامته بعد موته مثلها في حيـاته كالسبتي أو أكثر منها في حيـاته كابي يعزي أو من جرب اجابة الدعاء عند قبره وهو غير واحد في أقطار الارض وقد أشار اليه الامام الشافعي رضى الله عنه حيث قال قبر موسى الكاظم الترياق المجرب وكان شيخنا أبو عبد الله القديري رحمه الله يقول اذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليه بالخروج من هـذه الدار وهو يوم وفاتهم فزيارتهم فيه تهنئة لهم وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم فهي اذا مستحبة ان سلمت من محرم أو مكروه بين في أصل الشرع كاجتماع النساء مع الرجال وتلك الامور التي تحدث هناك هي وذكر الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان في كتابه سفينة النجاة ما نصه تحقق ذووا البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين

والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين اه فمن
أراد حاجة فليتوسل بهم الى الله تعالى فانهم الواسطة بين الله وخلقه
وليقدم على ذلك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما قال أبو عبدالله
ابن الحاج فى المدخل وزيارتهم في الحقيقة مواصلة للنبي صلى الله عليه
وسلم وكذا التوسل بهم فاستحضر هذا المعنى عند زيارتهم والتوسل
بهم يكمل حالك وتحصل آمالك وفي بعض اجوبة الشيخ أبي المحاسن
رضي الله عنه المعروف عند المحققين وأرباب القلوب من العلماء المهتدين
ولا مخالف في ذلك أن زيارة الاولياء والعلماء رضى الله عنهم مواصلة
له صلى الله عليه وسلم اذ كل خير و بركة قلت أو جلت منه حصلت
و بطلعته ظهرت وكيف لا وسائر العلماء والاولياء رضى الله عنهم صور
تفصيله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه ومظاهر تعيناته فما منهم الا وهو
سابح في نوره وممتد من بحوره على حسب مقامه فهو الجامع لما افترق
والرسول على الاطلاق فلا زائر ولا مزور الا له ومنه صلى الله عليه
وسلم فجميع الاولياء بل وجميع الانبياء منسوبون اليه ومستمدون منه
فلا ترى على الحقيقة كرامة ولا آية ولا خرق عادة الا وهي له صلى
الله عليه وسلم اه المراد منه فباستحضار كون زيارتهم مواصلة للنبي
صلى الله عليه وسلم حقيقة تكمل أحوال الزائرين وتحصل آمال الطالبين
كما تقدم وفي الحصن الحصين وقد جربت استجابة الدعاء عند قبور
الصالحين بشروط معروفة اه قال شارحه المحقق أبو عبدالله سيدي
محمد بن عبد القادر الفاسي رحمهما الله تعالى مانصه ويعني أن التجربة

دلت على حصول الاجابة وليس الخبر كالمعاينة فان قلت فما تقول في قول القاضي ابن العربي لايزار قبر ينتفع به غير قبره صلى الله عليه وسلم وكذا قول الشارمساحي قصد الانتفاع بالميت بدعة قلت هو خلاف مذهب الجمهور وما عليه الامة قال شيخ شيوخنا الامام العارف أبو زيد عبد الرحمن لعل مانقل عن ابن العربي ينظر الى سد الذرائع وحسم مادة البدع المحدثة المتطرقة في ذلك ومع هذا فلا معول عليه ولا التفت اليه وعمل الأمة على خلافه والانكار جحد للضرورات والله اعلم اه من حاشية الشيخ كنون على سيدي عبد الباقي مع حذف شيء مما نقلته واذا أردت الزيادة على هذا فانظره تستفده اذا تحقق لديك هذا فلا وجه لما أشيع في عصرنا من انكار الكرامة والزيارة للاولياء وانكار التوسل بهم الى الله تعالى وأصل هذا المذهب لبعض الخوارج بناحية بغداد وعقيدتهم أن من زار قبرا فكأنما عبد صنما وهو مذهب فاسد بدليل زيارته صلى الله عليه وسلم المقابر وأمره بذلك اجماع الامة على ذلك فالكلام مع نحو هؤلاء عبث وانما الكلام يكون مع من يعتقد طلب زيارة القبور خصوصا الاولياء فنقول ينبغي لمن أراد زيارة المقابر وفي ضمنهم الاولياء أن تكون نيته في ذلك حسنة بأن يعتقد أن الشرع أمره بذلك وانما أراد الزيارة لذلك فلا داعي له غير ذلك وأن يكون على طهارة وأن يكون متجملا متطيبا ان أمكنه لكونه يريد لقاء قوم كرام وأن يذهب بسكينة منفردا أو مع جماعة عالمين بأحكام الزيارة وأن يزداد ادبه اذا وصل الى المقابر خصوصا

في مقامات الاولياء وأن يسلم عليهم وأن يتلو شيئاً من القرآن خصوصا يس وقل هو الله أحد وأن يدعو عقب ذلك لنفسه ولوالديه وللمزور ولبقية المسلمين وأن يعتقد أن الاولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فغيرهم من باب أولى ولكنهم أناس حبهم الله ومنحهم من بحر فضله فمن حبهم وانتسب اليهم ولازم أعتابهم أكرمه الله وقضى حاجته وييسر له أموره كرامة لاحبابه ففي الحقيقة الفعل كله لله وانما تنسب الكرامة ونحوها للاولياء ونحوهم جريا على العادة مثلا اذا تعدى شخص على بعض أولياء الله وحصلت له عقوبة في الحال بحيث يتحقق من رآها أنها من ذلك الولي فاهل العلم يعتقدون أن تلك العقوبة فعل من أفعال الله أكرم به عبده الصالح ويصح نسبتها لذلك الولي من حيث انه سبب في ذلك ونظير هذا من قتل شخصاً بسيفه مثلا من غير فرق الا أن هذا الاخير يقتل ان كان متعدياً بشروطه والاول كذلك الا أن العلامة البناني توقف في ذلك انظره والمر د أن الولي حي حتى يتأتى القتل وأيضا اذا حصل لك نفع على يد صالح فأهل المعرفة يعتقدون أن حصول ذلك من الله على الحقيقة ويصح نسبته لذلك الصالح من حيث جريان ذلك على يده ومثل هذا من أسدى اليك معروفا كدراهم فالمسدى في الحقيقة هو الله تعالى وينسب لذلك لجريانه على يده وأن لا يشوب زيارته بما ينكر شرعا من محرم أو مكروه وأن يطلب من الله أن يعينه على فعل الخيرات وترك المنكرات وغير ذلك من الآداب التي تطلب عند الزيارة فمن زار مستوفيا لشروط الزيارة رجع بفضل الله ظافرا

بحاجته أعنى الاجر الجزيل مع ما يتبع ذلك من تسهيل أمور الدنيا والآخرة وأما من خالف شيئاً مما تقدم ففيه تفصيل فان كان المخالف مندوبا فزيارته ناقصة وأجره حاصل ان شاء الله تعالى (١) وان كان واجبا كأن اعتقدوا أن الاولياء ينفعون و يضرون و يخافون منهم ولا يخافون من الله و يعظمونهم لذواتهم وهـذا القسم هو الغالب اليوم وحكمه سيأتي وذلك أن العامة تغالوا في الاولياء حتى أنساهم ذكر الله فلا ترى طالبا منهم الا وهو يقول ياسيدي فلان اقض حاجتي أو سهل لى أمري أو نجنى من كذا واذا لم تقض حاجته تارة يلومه على ذلك بحيث يأتي الى قبره و يقول له ياسيدي فلان نهارك مبارك مثلا وأي شئ فعلت الك حتى لم تقض لى حاجتي وتارة يتوعده بأن يحرق صندوقه أو يحفر قبره أو يقول له لا أزورك بعد اليوم اذا لم تقض لي حاجتي غدا مثلا وغير ذلك مما لايحصي كثرة فانظر رحمك الله شدة التغالي مع قلة الادب مع أولياء الله الصالحين والحكم في نحو هؤلاء أنهم كفار اذا لم يعلموا الحقيقة من المجاز ونسبوا ذلك الاولياء على طريق الحقيقة (٢) والا فقلة أدب لاغير لان حق الافعال أن تنسب اليه

(١ قوله وان كان واجبا) اسم كان يعود على المتروك المفهوم من المخالف وجواب الشرط محذوف يعلم من المقام أى فأمرهم خطر

(٢ قوله والا فقلة أدب الخ) وهو الظاهر من حالهم لان الادب مع الشارع عسر حتى على العلماء فضلا عن العوام رزقنا الله حسن الادب وأجارنا من طريق العطب وذكر في الابريز عن شيخه ان انقطاع الداعين

سبحانه وتعالى أو بأن يشوبوا زيارتهم بما ينكر شرعا من اختلاط النساء بالرجل ومن ايقاد المصابيح نهارا ومن تسريح النظر في الغلمان الحسان ومن استعمال الآلات ذوات الاوتار وغيرها ولو الطار ومن تضييع الصلاة أو تأخيرها عن وقتها المختار ان كان المزور بعيدا ومن استماع القول القبيح وغير ذلك فمن كانت زيارته من هذا القبيل فقد أخل بحرمات الله وحرمة ذلك المزور واستوجب المقت من الله تعالى والخزى الدائم ان لم يتب وغالب الزائرين في هذا الزمان يفعلون ما تقدم وأكثر من ذلك بان يقعوا في الزنا أو اللواط في ذلك المكان ان أمكنهم ذلك والا تواعد الفساق ثمت ويجتمعون في غيره ومع هذه المناكر التي توجب خسارة الدارين يعتقدون حسن صنيعهم وأن الله يثيبهم على زيارتهم وأن ما فعلوه قربة من القرب المرغب فيها واحترام لذلك المزور وهذا منهم سفه لا مزيد عليه وحماقة صيرتهم بلها لا يفقهون ولو كانوا يفقهون

المحجوبين عن الله للاولياء لطف منه تعالى بهم وذلك لان الداعين لو انقطعوا الى الله فى دعائهم ببواطنهم لاجابهم والاجابة تكون بأحد أمرين اما ان يعطيهم ما سألوا أو يمنعهم ويبين لهم سر القدر في ذلك وهذا انما يكون للاولياء لا المحجوبين فاذا لم تكن لهم الاجابة المذكورة ولم يعلموا سر القدر يخشى عليهم الوسواس والشك فى وجود الله تعالى فيقعوا فيما هو أدهى وأمر فمن لطف الله تعالى بهم قطعهم عنه الى الاولياء المخلوقين لانهم اذا لم تحصل لهم الاجابة المذكورة بل أبهم عليهم الامر عند دعائهم غاية ما يحصل منهم الشك فى أن هذا المدعو ولى أم لا وهذا لا ضرر عليهم فيه اه المراد منه ببعض تصرف

لاتبعوا الطريق الاقوم وعدلوا عن الطريق الاسقم ولكنها الاهواء عمت فأعمت ترى الواحد منهم له جار أو جيران محتاجون لقوتهم وكسوتهم فيغض طرفه عنهم ويرتكب مالاثواب فيه بل فيه عذاب أليم من جمله الولائم في المشايخ المشتملة على ما تقدم أو جمله رايات من حرير وأغطية للاولياء ويظن في نفسه أنه عظم الاولياء فيستحق على ذلك الثناء كلا كلا بل لعب به اللعين والخبيثة نفسه وجهله المركب وقد يثني عليه الجهلاء مثله المحاربون لله ورسوله وقد يحضرهم من ينسب للعلم وبينه وبين العلم ما بين الاوج والحضيض وبذلك يزدادون في الطغيان والتمرد لحضور من يقال له عالم المتقدم وصفه واذا قيل لهم هذا لا يجوز قالوا أنت لاتعرف شيئاً اذ لو كان حراما كما تدعى لما حضره العلماء وأيضا لتصرف فيهم صاحب ذلك المقام وهذا الجواب الاخير سمعته ممن يتعاطى العلم بل يدعي أن له فيه اليد الطولى أو أنت على مذهب الصوفية أو غير ذلك من العبارات المقلقة وحيث اجتمع معهم شياطين الانس والجن لايمكن لمرشد أن يرشدهم لما هو الحق الا بعناية من الله تعالى • والحاصل أن الناس في شأن الاولياء افترقوا الى ثلاث فرق فرقة فرطت وهي التى أنكرت الزيارة ونحوها وفرقة أفرطت واستعملت قلة الحياء أيضا وهي التى أخلت بحرمات الله وحرمة الاولياء مع الله تعالى كما تقدم وفرقة توسطت (١) وبها يحسن

(١ قوله وبها يحسن الخ) انما حسن بها لان خير الامور أوساطها وكانت وسطا حيث استعملت الخ فالحيثية للتعليل

الختـام حيث استعملت الآداب الشرعية والله أسأل أن يجعلني وأحبتي والمسلمين في شفاعة سـيد الاولين والآخرين وأن يتجاوز عني وعنهم وأن يقابلني واياهم بقوله ادخلوها بسلام آمنين . هـذا وأقول ما كان فيما كتبته موافقا للحق فهو من فضل الله عليّ وما كان بخلاف ذلك فسببه جهلي وما على مثلي يعد الخطاء (وكان الفراغ) من تبييضه سادس جمادى الاولى سنة الف وثلاثمائة وثلاث وعشرين هجرية على صاحبها أزكى الصـلاة وأنمى التحيـة وعلى آله وأصحابه والمتبعين له بحسن النية آمين

تقريظ

(ولما ضاع) نشر ختام هذا الشرح على الانام . وعبق طيب زهره من الاكمام . اطلع عليه حائز قصبات السبق في مضمار البلاغة . المتضلع من سائر العلوم بل هو منها في غاية البراعة . المختص بوشي التحبير في النظم والنثر . لا يضاهيه في ذلك الكثير ولا النزر . كما يدع بالقائه الدروس العقول حيارى . لانه في ميادين ذلك الشأن لا يبارى . كيف لا وهو فريد دهره . ونسيج عصره . شمس مشارق القطر التونسي بل والمغارب . الالمعي اللوذعي الشيخ محمد أبو شارب . الشريف الهلالي . نخبة جلة جامع الزيتونة بتونس على التوالي . قال متفضلا بطوله . وقرظه بقوله

حمدا لمن أهلنا لخالص توحيده وهيأنا لاستطلاع مآثر تمجيده وأقدرنا على تقديس مبلغ أنبائه . وصفوة أنبيائه سيدنا محمد المظهر لاشرف آلائه . عليه من وافر الصلوات . أمثال ماله من المعجزات . ومن عاطر التسليمات . أضعاف ماله من الآيات . ثم على بقية الانبياء والمرسلين . فالآل فالصحب فالتابع لهم الى يوم الدين . أما بعد فان أعظم العلوم تفضيلا . وأشرفها جملة وتفصيلا . علم العقائد التي نزل بها الفرقان . وحث على تعلمها سيد ولد عدنان . ولقد صادف ذلك الحث من كبراء الائمة وجهابذة هذه الامه . آذانا صاغيه . وقلوبا واعية . حيث بادروا باضافة الدروس اليها . وتعليق الشروح الطائلة عليها . مجاوئا بالرسائل المديده والتصانيف المفيده . وان من أحسنها وضعا . وأعودها نفعا . الرسالة الموسومة بعقيدة أهل السنة . المعزوة لحجة الاسلام والمسلمين الاستاذ

أبي حامد الغزالى تلك الرسالة التي جمعت فاوعت • وعمت بنفعها وما خصت • سوى أنها ما كانت لتخلص من لفظ غريب يفتقر الى الايضاح • ومعنى خفي يستدعى مزيد الافصاح • حتى قيض الله لها واحد دهره وعالم عصره • صديقنا بل أستاذنا بل والدنا أبا عبد الله سيدي محمد بن يوسف الكافي ذلك العلم الاكبر • ومفخر الجامع الازهر • كفاه الله شر الحساد • وكان له في يوم التناد • فعلق عليها شرحا جليلا جاء غاية في بابه • وكفاية لطلابه • قد أبدع صاحبه في نظامه • وأبرع في بدئه وختامه • (شعر)

عليك به شرحا تألق برقه * بمحض الهدى وانهل بالحق ودقه
هو الحصن من داء الجهالة مسعف * لكل فتى قد ضاق بالفهم طوقه
تروض أخا العقل الشرود رياضه * وتشدو على أيك الحقائق ورقه
اذا ورد الصادي شهي حياضه * تأجج للعود المضاعف شوقه
بنفسي يدا جادت بنسج بروده * فجاءت به كالدر أحكم نسقه
يد العلم الكافى لمن أمه ومن * تقرر فى سبل البراعة سبقه
محمد الاسمى الجليل ومن غدت * منارا لارواح الهداية طرقه
أخو ورع طود المعارف أروع * تكامل في سر الحقيقة ذوقه
فلا زال ملحوظا بعين رعاية * يعانقه لطف الاله ورفقه
وتسعده العلياء ما قال منشد * عليك به شرحا تألق برقه

الامضاء

محمد أبو شارب

وكتب شيخ مشايخ الاسلام . وقطب فلك العلماء الاعلام . من القي اليه زمام تحقيق العلوم كلها فى هـذا العصر . مفتى المالكية بالقطر المصري الشيخ سليم البشري . أبقى الله وجوده لنفع الامة . وأزال به عن الحق كل شبهة وظلمة

الحمد لله كما هو أهله . والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وآله وصحبه . و بعد فقد اطلعت على معظم هذا الشرح المفيد الذي صنفه ابننا الشيخ محمد بن يوسف الكافى لحل الفاظ متن عقائد الغزالي فى علم التوحيد . فوجدت فيه من الفوائد ما يوجب لمؤلفه جميل الثناء وجزيل الشكر . ذلك فضلا عن أني نظرت فيه نظر من لا يهمه الا أن يرى الصواب فيذعن اليه و يقره أو يجد الخطأ فيبينه و ينبه عليه ولكن أحمد الله تعالى على أني لم أجد بين سطوره الا ما يشرح الصدر شرحا . و يملأ العين بهجة والقلب سرورا وفرحا . والا ما يعيد الى اليائس الامل . فى رجال الجد والعمل . أسأل الله تعالى أن يوفق المؤلف لمثل هـذا العمل المفيد دائما . وأن يكثر بين رجال العلم وأهله من امثاله الناجحين آمين

كتبه بيده سليم
البشري مفتى المالكيه
بالازهر

﴿ فهرست ﴾

(كتاب الحصن والجنة على عقيدة أهل السنة)

(تأليف ذى التحقيق الشافي الشيخ محمد بن يوسف الشهير بالكافى)

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾



(تنبيه) وقع بعض أغاليط لم يعثر عليها الا بعد الطبع وان كانت لا تخفى أردنا التنبيه عليها

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	٣	السمحاء	الغراء
١٦	١٨	نجيب	نجيبا
٢٧	١٥	التحير	التحيير
٤٧	١٠	وضده وفى السعادة	وضدها وفي زيادة العمر
٦٨	١٥	مثقال	مثال
٧٠	١١	كفارق	كفار
١٠٤	١٧	ألف	كالف
١١٨	١٩	هناك هي	هناك اه

﴿ تمت ﴾